

موقف المعتزلة من السنة النبوية

﴿ وَمَوَاطِنَ الْأَخْرَافِ مِنْهَا ﴾

تأليف
أبولباب محمد حسين

دار اللواء
للنشر والتوزيع

أبواب حِين

موقف المعجز من السيرة النبوية

ومواطن الحرفم عننا

دار اللواء
للنشر والتوزيع

أنجز هذا البحث ضمن أعمال قسم الدراسات الإسلامية لسنة ٧٥-١٩٧٦
بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية - الجامعة التونسية -
وقد رخص مركز الدراسات بنشر هذا البحث .

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٤٦١
دار اللواء ص.ب : ٢٨٥٦ شارع الملك فيصل
هاتف : ٤٠٢٨٠٨٤-٤٠٥١٧٥٤ - بريقياً : نشر دار

الفهرس

| | |
|----|---|
| | مقدمة |
| ٥ | |
| ٩ | ظهور المعتزلة والتعريف بهم |
| | محاولة المعتزلة نسبة مذهبهم الى الرسول ﷺ او الى |
| ٢٥ | علي او الى الحسن البصري |
| ٣١ | بين المعتزلة والقدرية والجهمية |
| ٣١ | القدرية |
| ٣٢ | الجبرية |
| ٣٥ | مفهوم الايمان عند المعتزلة |
| ٤١ | اصول المعتزلة |
| ٤٦ | المنزلة بين المنزلتين |
| ٤٧ | التوحيد |
| ٤٩ | أ - نفي صفات الباري |
| ٥٥ | ب - قولهم بخلق القرآن |
| ٥٨ | ج - نفي رؤية الله تعالى |
| ٥٨ | العدل |

| | |
|-----|--|
| ٦١ | أ - نفي القدر |
| ٦٣ | أصل القول بالقدر |
| ٦٤ | ب - الصلاح والأصلح |
| ٦٦ | ج - الحسن والقبح العقليان |
| ٦٨ | الوعد والوعيد |
| ٧٠ | الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ٧٣ | موقف المعتزلة من السنة |
| ٧٤ | أهمية العقل عند المعتزلة |
| ٧٨ | أ - رأيهم في الصحابة |
| ٩٠ | ب - انكارهم للحديث المتواتر |
| ٩٢ | ج - ردهم لخبير الآحاد |
| ٩٧ | د - تشكيك المعتزلة وانكارهم للكثير من الأحاديث |
| ١٠١ | هـ - كذبهم في الحديث |
| ١٠٤ | موقفهم من الاجماع والقياس |
| ١١٣ | صور من انحرافات المعتزلة عن السنة |
| ١١٤ | أ - وجوب معرفة الله بالدليل |
| ١١٨ | ب - انكارهم لرؤية الله يوم القيامة |
| ١٢٦ | ج - انكارهم لشفاعة الرسول ﷺ |
| ١٣٠ | د - انكارهم لمعجزات الرسول ﷺ |
| ١٣٦ | هـ - موقفهم من حد شارب الخمر والنيذ |
| ١٣٨ | و - موقفهم من حد السرقة |

| | |
|-----|--|
| ١٤٠ | ز - تخليدهم صاحب الكبيرة في النار |
| ١٤٨ | ح - انكارهم لعذاب القبر |
| ١٥١ | من مباحث المعتزلة المجافية للعقل والمخالفة للسنة |
| ١٥٥ | أ - بعدمهم عن تطبيق معتقدتهم في الايمان |
| ١٥٨ | ب - كثرة اختلافاتهم |
| ١٦١ | ج - آراؤهم المنافية للاسلام |
| ١٦٣ | د - مقاومتهم من أهل السنة فكريباً |
| ١٦٩ | من فضائل المعتزلة |
| ١٧٣ | قائمة المراجع |
| ١٨١ | الفهرس |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مَقَدِّمَةٌ

لم تحظ فرقة إسلامية بذیوع الصیت واهتمام النقاد والعلماء
بدراستها وفهم أصولها ، قديماً وحديثاً بما حظيت به فرقة
المعتزلة التي اتخذت من العقل إماماً تهتدي بهديه وتترسم
خطاه - وهواه - وتبني على ضوئه مبادئها وتدافع به عن
آرائها .

ولعل هذا الاهتمام يعود :

١ - إلى الإضافات القيمة التي أضافتها لتراث الفكر
العربي الإسلامي (١) .

٢ - أو لما اتسمت به من الانحراف عن المنهج الإسلامي
الملتزم بالقرآن والسنة الصحيحة ، حيث مالت إلى المناهج
الأجنبية سواء منها فلسفية يونانية وهندية ونحوها أو دينية
يهودية ومسيحية وزرادشتية وغيرها .

(١) أدب المعتزلة ١٠٨ .

٣ - أو لما توصلت إليه هذه الفرقة من استقطاب لعدد كبير من العلماء والمفكرين والأدباء ، الأمر الذي زاد في نفوذها ووسّع من إشعاعها ، فضلاً عن تجنيدها لبعض الخلفاء العباسيين واستغلال سلطانهم القويّ واستخدامه في نشر مذهبها على نطاق واسع . . .

وقبل الدخول في الموضوع أريد أن أشير إلى التوقف الذي توقّفه بعض الأساتذة الباحثين في القسم الاسلامي من معهد الدراسات والأبحاث العلميّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة حول عنوان هذا البحث إذ لم يستسيغوا عبارة « انحراف »^(١) ، ذلك أنّهم يعتبرون المعتزلة فوق مستوى الشبهات اذ هم - لا شك - يجلّونهم ويحلّونهم محلاً رفيعاً من الفكر والدين ، وغاب عنهم أن المعتزلة - على ملحظ الشيخ محمود محمد شاكر - « أخطأوا الطريق إلى فهم ما نزّله الله من القرآن ، وبلغوا من الارهاب والقسوة والفجور في الحكم - حين صارت اليهم مقاليد الحكم في خلافة المأمون - مبلغاً عظيماً »^(٢) وهو ما جعل أهل السنّة والجماعة الذين ساروا على الميعة الرّشيد يسمّونهم بالابتداع وينسبونهم - بالدليل الشرعي - إلى الخروج عن الجماعة الاسلاميّة المتمسكة بسنة رسولها والمهتدية

(١) كان العنوان : (مواطن انحراف المعتزلة عن السنة الشريفة) .

(٢) جريدة الأهرام ١٢ مارس ١٩٧٦ .

بنور الوحي من غير تحكّم في تفسيره ولا تمحّل في تأويله .

والواجب اليوم يدعوننا - كما دعانا سلفنا الصالح في العصور
الماضية - الى تقييم كلّ الأعمال الفكرية وكلّ الحركات
والدّعوات ووزنها بميزان الشريعة الاسلامية فما وافق القرآن
والسنة الصحيحة فهو الرّشيد وما خالفها فهو المنحرف
السقيم الذي ينبغي كشفه والتنبيه على خطره ، لكي نحفظ
لثقافتنا الاسلامية صفاءها ، وللتصوّر الاسلامي نقاءه بعيداً
عن كلّ تأثير وثنيّ قديم أو حديث ، وبذلك نتيح الفرصة
للإسلام أن يسهم في إبراز ثقافة أصيلة .

وهذا الاعتبار هو الذي أملى عليّ اختيار هذا الموضوع ،
وهو في الحقيقة مساهمة متواضعة في تجلية ما اعترى التصوّر
الاسلاميّ من شوائب نتيجة التآثر ، - لدرجة الايمان -
بالثقافات والآراء غير الاسلامية .

والذي أريد التنبيه اليه هو أنّني عند استعراض
انحرافات المعتزلة عن السنة سوف لن أعتد الأعلى السنة
التي توفرت فيها شروط القبول والعمل بها تلك التي أقرّ
صحتها أئمة السنة الأعلام . كما أن الانحرافات التي تنسب الى
المعتزلة ليست كلّها مما تجمع عليه فرق المعتزلة إلا أنّها جميعها
صدرت عن من ينسب الى الاعتزال .

وسوف أعرّف بالاعتزال وأتحدّث عن الملابس والعوامل
التي ساعدت على ظهوره . وأشير الى العلاقة الرابطة بينهم
وبين القدريّة والجبريّة والجهميّة لأخلص بعد ذلك الى تصوير
مفهوم الايمان عندهم ، هذا المفهوم الذي بنوا عليه الكثير من
أحكامهم . ومن ثمّة أتحدّث عن تعاليمهم وأصولهم الخمسة وما
تفرّع عنها من الآراء والعقائد .

وقبل الحديث عن موقف المعتزلة من السنّة نقف معهم وقفة
قصيرة عند اكبارهم للعقل ، هذا العقل الذي حملوه ما لا يحتمل
في مجال المعرفة وتمييز القبيح والحسن ، كيف لا وقد حكموه
في القرآن والسنّة وجعلوه القاضي عليها . وبذلك تدرك مدى
عمق الهوة التي وقعوا فيها والتي جعلت أهل السنّة ، السّدين
عضّوا على كتاب الله وسنّة الرّسول بالنّواجذ - تلبية لدعوة
الرّسول ﷺ - يشتمّون عن ساعد الجسد لكشف انحرافهم
الى الجماهير المسلمة ، وابرّاز المفهوم الصّحيح للشرع كما يصرّوه
القرآن والسنّة .

وأثر بيان رأيهم في صحابة الرّسول ﷺ وموقفهم من الخبر
المتواتر وحديث الأحاد وبيان مدى إعراض بعضهم عن حديث
رسول الله تشكيكاً وتكذيباً معقّباً على كل ذلك بمدى
انحرافهم ومخالفتهم لصحيح السنّة . . . أتحدّث عن موقفهم من
الاجماع والقياس لأصل بعد ذلك الى استعراض عدد من مواطن

انحرفهم وعزوفهم عن السنّة . مستشهداً على كلّ ذلك بما صحّ
من حديث الرّسول ﷺ - كما كنت قد ألمحت - .

بعد ذلك أتناول بالبيان بعض آرائهم المجافية للعقل نفسه -
هذا العقل الّذي قدّسوه - فضلاً عن مخالفتها للسنّة .

وأختتم البحث ببيان الأسباب الّتي أذهبت ريمهم وعجّلت
باضمحلالهم . وسوف ألتم الحقّ في كلّ ما أذهب اليه من غير
تحامل ولا غمط لجهودهم في خدمة عقيدة التّوحيد، تلك الجهود
الّتي تاهت وسط اغراء السّلطان وحبّ التسلّط والاستبداد.



ظُهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالتَّعْرِيفُ بِهِمْ

لقد اختلف الدّارسون حول تسمية المعتزلة بالمعتزلة اختلافاً شديداً وتباينت وجهات نظرهم تبايناً كبيراً ، وذلك لارتباط تلك التسمية بالعديد من المسائل التاريخية التي ملأت سمع العالم الاسلامي وبصره ردحاً طويلاً من الزمن . فأدلى كلّ بدلوه محاولاً تحليلها بما يتفق ورأيه حول ظهور فرقة المعتزلة وأصولها وطابعها الخاص^(١) .

وإذا كان معنى الاعتزال لغويّاً التنحي^(٢) والابتعاد والانفصال فإنّ له في الاصطلاح دلالات عديدة تخضع كلّها لتأويلات مختلفة :

فمن النّاس من يذهب الى أن اسم الاعتزال إنّما أطلقه

(١) فضل الاعتزال ١٢ - يرى فلينو أن حل كل تلك المسائل مرتبط بالوقوف على سبب تسميتهم .

(٢) تقول : عزلت الشيء عن غيره عزلاً من باب ضرب نجته عنه ... ويقال في المطاوع فعزل ولا يقال فانعزل لأنه ليس فيه علاج وانفعال (المصباح المنير ٥٧/١) .

عليهم مناوئوهم من أهل السنة ، ومنهم من يرى أنهم سموا
أنفسهم بذلك .

كما أن بعض النقاد يربط ظهورهم بالاعتزال السياسي الأول
للفتنة التي نشبت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه وبين معاوية . ومنهم من ينسب ظهورهم الى ظروف
أخرى غير الفتنة الأولى .

وجل من يذهب الى أن اسم الاعتزال أطلقه عليهم أهل
السنة فلزمهم يربط تسميتهم بتلك الواقعة الشهيرة المتمثلة في
اعتزال واصل بن عطاء الغزال لحقبة الحسن البصري حين
أشدت الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة^(١) ، هذه القضية
التي شغلت الرأي العام الاسلامي في ذلك العصر فاستولت
على اهتمامه وهي تنحدر عن مسألة الإمامة وما تفجر عنها من
صراعات دامية وخلافات مروعة بين المسلمين فتفرقوا بسببها
الى طرائق متنافرة يرمي بعضها بعضاً بالكفر والمروق . ولعل
ما تتجرعه أمتنا الاسلامية حتى اليوم من الفرقة والتنافر
يعود الى تلك الفتنة الأولى .

وكانت للحسن البصري حلقة يرشد فيها المسلمين ، يعلمهم

(١) أدب المعتزلة ١١٠ - فضل الاعتزال ١٩ - وانظر اختلافهم في
أسماء مرتكب الكبيرة ص ١١٥ .

دينهم ويقرّر فيها المسائل التي جاء بها القرآن والسنة ، ويفتي السائلين فيما يشغل بالهم من مسائل ، أو ما يجد في حياتهم الخاصة والعامة من قضايا حيوية . وسأله سائل : (يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر ... وهم وعبيدة الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ... وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا ذلك اعتقاداً ؟) . ففكر الحسن في ذلك . وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء - أحد تلاميذ الحسن النجباء - : (أنا لا أقول : انّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر^(١) . الأمر الذي أغضب الحسن البصري فطرده من حلقة ، ممّا جعل واصلًا يعتزل الى سارية من سواري مسجد البصرة ليقرّر ما ذهب اليه ، وانضمّ اليه عمرو بن عبيد وبعض الناس ، (فقبل لهما ولأتباعها معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواها انّ الفاسق من أمّة الاسلام لا مؤمن ولا كافر^(٢) .

وهكذا نرى أن سبب تسميتهم انّما يعود الى خلافهم لقول

(١) ملل الشهرستاني ٤٨/١ - أنظر القاموس المحيط ١٥/٤ .

(٢) الفرق بين الفرق ٢٠ - ٢١ . فضل الاعتزال ١٩ - ميزان

الاعتدال ٢٧٤/٣ المعتزلة ٢ .

الأمّة في مسألة الفاسق حيث افتجروا القول بالمنزلة بين المنزلتين^(١) ، هذا القول الذي صار علماً للاعتزال في اصطلاح مذهب المعتزلة^(٢) ، ويضيف البغدادي الى ذلك خلافهم للأمة في مسألة القدر فيجعلها مع المنزلة بين المنزلتين سبب التسمية^(٣) .

والأقرب في هذا المضمار أن تكون التسمية صادرة من الحسن البصري لا من قتادة بن دعامة السدوسي كما يذهب الى ذلك ابن خلكان الذي يجعل قتادة - وهو من أصحاب الحسن ومن أعلام التابعين المشهورين بالعلم وكان أكمه - يؤمّ حلقة عمرو بن عبيد وصحبه ظناً منه أنّها حلقة الحسن . واذا به يفتن - حال جلوسه - الى حقيقتهم ، فيقول : (إنّما هؤلاء المعتزلة !) وقام عنهم فسمّوا معتزلة من وقتها^(٤) ، وذلك لأنّه إذا كانت التسمية تعود لاعتزالهم حلقة الحسن فقد

(١) فضل الاعتزال ٧٣ .

(٢) المعتزلة ٣ - ونحوه ما قاله البلخي في كتابه مقالات الاسلاميين -

فضل الاعتزال ١١٥ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٠ - فضل الاعتزال ١٩ وفيه أن (عمرو بن عبيد

كان يرى رأي القدر يدعو اليه ، واعتزل الحسن هو وأصحاب له فسموا المعتزلة) .

(٤) المعتزلة ٢ - ٣ .

تمت قبل حدوث قصة قتادة هذه ، واذا كانت لاعتزالهم قول
الأمّة فالحسن كان واقفياً على ذلك من اللّحظة الأولى وقد
غضب لتوّه وطرده ^{واصبغاً} الحسن ، أو طرده وعمرو بن عبيد معاً .

هذا وقد أطلق عليهم خصومهم مع تطوّر فرقة المعتزلة
وتشعب عقيدتها وآرائها أسماء كثيرة منها :

المجوسية : لشبههم بهم في القول بالثنوية ، ثنوية الخير
والشرّ والنور والظلام .

والثنوية : لقولهم الخير من الله والشرّ من العبد^(١) .

والوعيدية : لقول المعتزلة بالوعد والوعيد .

والمعطلة : لنفيهم وتعطيلهم صفات الله خشية الوقوع في
الشرك^(٢) .

والقدرية : لنفيهم القضاء والقدر .

(١) يقول ابن حجر : « الذي فرق بين الخير والشر فنسب الى الله الخير
ونفى عنه خلق الشر وان قيل لا يعرف قائله فانه في الحقيقة رأي المجوس »
فتح الباري ٢٩١/١٤ .

(٢) المتزلة ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) القدرية : « هو من يزعم أن الشر فعل العبد وحده » هدي الساري
٢٣٢/٢ .

ولم يكونوا ليرتاحوا لهذه التسميات سيما وقد أثر عن النبي
ﷺ قوله : ه القدرة مجوس هذه الأمة ، فان مرضوا فلا
تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوا جنازتهم ، (١) .

كما أن أسماء كثيرة مشتقة من عقيدة من عقائدهم قد تطلق
على بعض فرقهم أو تعميم جميعاً . من ذلك أنهم سمو :

الحرقية : لقولهم لا يحرق الكفار الا مرة .

المقنية : لقولهم بفناء الجنة والنار .

اللفظية : لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة .

القبرية : لانكارهم عذاب القبر (٢) .

وأما ما ذهب اليه أحمد أمين - اعتماداً على ما كان قد
طالعه في خطط المقرئ من أن بعض اليهود الداخلين في الاسلام
أطلقوا على أصحاب واصل اسم المعتزلة قياساً على احدى

(١) فجر الاسلام ٢٨٤ - مناقب الشافعي ٤١٣/١ والحديث أخرج
نحوه أبو داود ٥٢٥/٢ . وقد قال عنه الحاكم في المستدرک بأنه صحيح على
شروط الشيخين ان صح سماع أبي حازم من ابن عمر ، وأقره الذهبي على هذا وقد
تصدى ابن حجر للرد على من ادعى انه منقطع أو موضوع ، وبين انه صحيح
على شرط مسلم الذي يكتفي في الاتصال بالمعاصرة - انظر مناقب الشافعي

٤١٣/١ هامش رقم ٢ - م .

(٢) المعتزلة ٢ هامش رقم ١ -

الفرق اليهودية التي ظهرت بعد عودتهم من الأسر البابلي^(١) والتي كانت قد بحثت في مسألة القدر كالمعتزلة ، فان زهدي جار الله يستبعدها لأن انفصال الفرقتين تم بطريقتين مختلفتين^(٢) على حد قوله .

ويذهب فريق آخر من الدارسين الى أن المعتزلة اختساروا لأنفسهم هذا الاسم : اما لاعتزالهم فثقي الضلالة - في زعمهم - أهل السنة والخوارج^(٣) . أو لأنهم كانوا يعتزلون الناس للعبادة والزهد^(٤) .

وذكر الزركلي في أعلامه أن واصلا سمي أصحابه بالمعتزلة « لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري^(٥) » .

كما أن ابن المرتضى الزبيدي اليمني في كتابه المنية والأمل ، يحاول تبرير التسمية والرد على البغدادي مبيناً أن المعتزلة لم يخالفوا اجماع الأمة وانما خالفوا الأقوال المحدثه والمبتدعة واعتزلوها فكأنما اشتق اسمهم من اعتزالهم البدع كما يقول

(١) تسمى الفروشم Pharisees .

(٢) المعتزلة ٤٠٣ . -

(٣) القاموس المحيط ١٥/٤ .

(٤) فضل الاعتزال ١٢ - ومن يذهب هذا الرأي قول زهير (المعتزلة ٣) .

(٥) الاعلام ١٢٢/٩ .

زهدي جار الله^(١).

ويستدل هذا الفريق بما يحشد المعتزلة من الآيات والأحاديث التي تؤيد تسميتهم وبالتالي مذهبهم وتبرز مدى اعتزازهم بتلك التسمية^(٢) فما يستدلون به من الآيات: قوله تعالى: ﴿واهمجرهم هجرًا جميلاً﴾^(٣) وقالوا: لا يكون الهجر إلا بالاعتزال والتنحي. وقوله تعالى: ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾^(٤). وقوله عز وجل في قصة أصحاب الكهف: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ وفي كلا الآيتين لفظ الاعتزال مذكور صراحة.

ومن اوحاديث التي يحتجون بها على خلوص تسميتهم من معاني الزيف ومفارقة الجماعة قول الرسول ﷺ: (من اعتزل الشر سقط في الخير)^(٥). وهم لا يتورعون عن تحريف بعض

(١) المعتزلة ٤ .

(٢) انظر فضل الاعتزال ١٦٥ - ١٦٦ ، والمعتزلة ٤ ، ٥ .

(٣) المزمّل ١٠ .

(٤) مريم ٤٨ ،

(٥) الكهف ١٦ .

(٦) لا أثر لهذا الحديث في الكتب التسعة . انظر مادة ع زل في ونسك .

العبارات في حديث الرسول، فمن ذلك أنهم يروون بسندهم عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة (١) ، وينسبون الى سفيان الثوري أنه قال لأصحابه : تسموا بهذا اللقب . فقالوا له : سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه . فصار سفيان يروي الفئة الناجية بدل المعتزلة (٢) !؟

وبذلك يكونون قد ألصقوا بالثوري تهمة تحريف حديث الرسول ﷺ ان صح هذا الحديث أساساً (٣) .

والذي اشتهر به المعتزلة انهم يتسمون بأهل العدل والتوحيد (وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم ان إثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه كفر (٤) أما العدل فأرادوا به تنزيه الله عن الظلم وذلك يجعل الانسان خالقاً

(١) فضل الاعتزال ١٦٦ .

(٢) المعتزلة ٥٠٤ .

(٣) خرج البغدادي ، في الفرق بين الفرق طرقه (انظر ص ٤٠٤ ، ٩) وعلق عليها محمد محيي الدين عبد الحميد فذكر أن العلماء اختلفوا في صحته فمنهم من ذهب الى ضعفه كابن حزم ومنهم من اكتفى بتعداد رواته من الصحابة انظر ص ٧ هامش رقم ٥ .

(٤) فتح الباري ١١٢/١٧ .

لأفعاله حراً في اختياراته دون قضاء وقدر مسطور في الأزل^(١).

ولعله من المفيد أن نشير الى ما يذهب اليه بعض الدارسين من ربط معتزلة واصل بمعتزلة فتنة معاوية . فمن ذلك أن أبا محمد الحسن النوبختي يرى أن اعتزال بعض الصحابة للحياة السياسية ، وامتناعهم عن محاربة علي ونصرته بعد دخولهم في بيعته يعتبر بداية ظهور المعتزلة ، ثم إنه يعد هؤلاء المهاجرين أسلاف المعتزلة الى آخر الأبد^(٢) .

ولئن عارض البلخي المعروف بالكعبي رأي النوبختي مستشهداً بما كان عليه جمهور المعتزلة من تعاطف مع علي (ض) حيث كانوا يصوبونه ويضللون من ناواه ويتبرؤون ممن لم يتب عن محاربه^(٣) ، فان بعض النقاد يميل الى رأي النوبختي ذلك أن البلخي - في تقديرهم - متعصب لعلي . فرغبته في اظهار أصحابه موالين لعلي أملت عليه رأيه ذلك ، فضلاً عما كان يعرف به واصل وعمرو من التوقف في شأن المشاركين في حروب علي^(٤) ومما يدعمون به موقفهم هذا ما اعتقده المستشرق نلينو

(١) انظر فجر الاسلام ٢٩٦ .

(٢) فضل الاعتزال ١٣ .

(٣) المصدر السابق ١٣ - ١٤ .

(٤) المصدر السابق ١٣ - ١٤ .

من وجود علاقة بين معتزلة الفتنة السياسيين سنة ٣٥ هـ وما
والاها من الفتن وبين المعتزلة المتكلمين الذين نهضوا واصل وعمر
ابن عبيد بتأسيس فرقته . وكان نلينو بدوره يعول على ما
أطلقه أبو الفدا من اسم « المعتزلة » على من آثر الجلوس على
الربوة حتى لا تستشرفه الفتنة فينساق الى تأييد علي أو
خذلانه (١) .

وقد تبنى أحمد أمين (٢) رأي نلينو كما التزمته الموسوعة
الاسلامية حيث جعلت ظهور المعتزلة مرتبطاً بعامل سياسي
كظهور الشيعة والخوارج ويقرب من هؤلاء الملطي حيث جعل
ظهورهم مرتبطاً بالفتنة إلا أنه أرجأ ظهورهم الى السنة التي بايع
فيها الحسن معاوية ، اذ حز تنازله عن حقه في الخلافة في نفوس
بعض أحياء علي وشيعته فاعتزلوا السياسة والناس جميعاً وحولوا
وجهتهم نحو العبادة والعلم فسموا بذلك معتزلة (٣) .

والذي نميل اليه في هذا الباب أن العلاقة بين معتزلة أو اصل
وعمر بن عبيد انما هي علاقة اسمية ، ذلك أن الدوافع
والأهداف والظروف التي انبثقت فيها الاعتزالان متغايرة تماماً .

(١) فضل الاعتزال ١٣ - ١٤ .

(٢) ادب المعتزلة ١١٠ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥ .

فلاعتزال الأول كان ناشئاً عن عوامل سياسية على حد تعبير بعض الدارسين، وهي التزام الحياء ازاء اشتداد الفتنة واختلاط السبل . وهذا الموقف لعله اجتهاد منهم في تفسير قول الرسول ﷺ : ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليذ به (١) .

بينما اعتزال واصل انما نشأ عن موقف عقدي معين حول مصير مرتكب الكبيرة (٢) ؟ .

وبذلك نستطيع القول: إن السبب المباشر لظهور فرقة المعتزلة هو حادثة انفصال واصل عن حلقة أستاذه الحسن البصري بعد أن ابتدع مقالته في المنزلة بين المنزلتين . هذه المقالة التي تكاد تجمع كل المصادر على أن واصلأ أول من أظهر القول فيها (٣) على أن هذا لا يمنع من أن يكون ظهورهم صدى للتيارات الفكرية والعقائد الدينية اليهودية والنصرانية ، وللاتجاهات السياسية المسترة بالقناع الديني المحتمة بين المسلمين في ذلك العصر، إذ أن الحكم على مرتكب الكبيرة ادانة أو تبرئة

(١) البخاري - كتاب الفتن فتح الباري ١٦/١٣٩ - مسلم ٤/٢٢١٤ .

(٢) انظر أدب المعتزلة ١١٣ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٥ - فضل الاعتزال ١٧ .

المشاركين في الفتنة ، وهو ما جعل أحمد أمين يحكم على موقف المعتزلة بالموالاة للأمويين ، بينما جعلت الموسوعة الإسلامية موقفهم متقرباً من الشيعة^(١) ، ولا ندري كيف توصلنا الى هذا الاستنتاج . وقد فسق واصل أحد الفريقين لا بعينه في حين فسقها معاً عمرو بن عبيد^(٢) .

نعم نجد منهم من ينتسب للعلاويين فيما بعد لكسب عاطفة جماهيرهم^(٣) وتأييد رؤسائهم ، لكن لا نملك من الأدلة ما يثبت ذلك بالنسبة الى منطلق الاعتزال على يد واصل وعمرو بن عبيد .

على أنه حين نحاول وضع حركة الاعتزال في موضعها من رقعة المذاهب والتيارات في ذلك العصر يمكننا القول مع « هلامتون » انها كانت الانعكاس الطبيعي « للتطرف الخارجي من ناحية والتراخي الخلقي لجماعة المرجئة من ناحية أخرى^(٤) » .

أما عن تحديد الفترة التي ظهرت فيها حركة الاعتزال فان جل النقاد يربطون ظهورها بفترة فتوة واصل وعمرو واكتمال

(١) أدب المعتزلة ١٢٩ .

(٢) ملل الشهرستاني ٤٩/١ - الفرق بين الفرق ١٢٠ ، ٣٢٠ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٢٠٣ .

(٣) أنظر أدب المعتزلة ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) أدب المعتزلة ١٢٧ .

مداركها بحيث يتأهلان لِلْبَحْثِ في مثل هذا الموضوع الخطير :

فتذهب الموسوعة الاسلامية الى أن ظهورها كان ما بين ١٠٥-١٣١ هـ فترة نشاط واصل وعمرو ، في حين يذهب زهدي جار الله الى أنها ظهرت ما بين ١٠٠ هـ و ١١٠ مستدلاً على ذلك بأن واصلًا وعمراً لا يمكن أن يبدأ الحركة دون بلوغ العشرين من سنهما وقد ولدا سنة ٨٠ هـ ، كما لا يمكن أن يتجاوز ظهورها سنة ١١٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها الحسن . كما يستظهر بما قاله المقرئ من أن المعتزلة ظهوروا بعد المائة الأولى أيام الحسن البصري^(١) وهو ما ذهب اليه طاش كبرى زادة في مفتاح السعادة^(٢) .

بينما يقدم صاحب كتاب أدب المعتزلة تاريخ ظهورهم فيجعله فيما بين ٩٨ هـ و ١٠٠ هـ اذ يرى أن اكتمال عقلي واصل وصاحبه انما يكون في حدود الثامنة عشرة من عمرهما^(٣) .

وهكذا نستطيع القول ان المعتزلة قد ظهوروا في أواخر القرن الأول على عهد الحسن البصري في مدينة البصرة المركز

(١) فضل الاعتزال ٢٠ - المعتزلة ص ١ .

(٢) فضل الاعتزال ٢٠ .

(٣) أدب المعتزلة ١٠٩ - ١١٠ .

الثقافي المزدهر بمختلف النشاطات الفكرية بسبب انفصال
واصل عن شيخه ليقرر ما ابتدعه من القول بالمنزلة بين المنزلتين.

وإذا كان الدارسون القدامى بما فيهم علماء المعتزلة^(١)
أطلقوا عنوان فرقة على المعتزلة فان زهدي جار الله يرى أن
الأولى تسميتهم بمدرسة كلامية اذ لم تكن لهم ما كان لفرق
الشيعة والخوارج وغيرها من نظم دينية مميزة^(٢).

(١) من ذلك أن القاضي عبد الجبار يجعلهم احدى فرق الامة (فضل
الاعتزال ١٦٤) .

(٢) المعتزلة ١ حاشية رقم ١



محاولة المعتزلة نسبة مذهبهم إلى الرسول ﷺ أو إلى علي أو الحسن البصري

يحاول الكثير من أعلام المعتزلة ربط مذهبهم بالرسول ﷺ بل يدعون أن اسنادهم المتصل بالرسول ليس لأحد من فرق الأمة مثله^(١). كما يحاول بعضهم ربط مذهبهم بآل البيت أو بالحسن البصري .

وصنيعهم يعود الى احتمالين اثنين :

١ - إما الى تعلقهم بمبادئهم واعتزازهم بها .

٢ - وإما الى احساسهم بالانعزالية نتيجة اعتزالهم رأي الجماعة ، واستمداد مذهبهم الكثير من أصوله وجزئياته من مصادر فلسفية ودينية أجنبية الأمر الذي جعل الجماهير المسلمة تتجنبهم .

فهذا البلخي يجعل واصلاً وعمرو بن عبيد يأخذان علمهما

(١) من مقالات الاسلاميين للبلخي - فضل الاعتزال ٦٨ .

عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي أخذ العلم بدوره
 عن أبيه محمد بن الحنفية الذي تلقى علمه عن علي بن أبي طالب ،
 وعلي نشأ في حجر النبي ﷺ ، ونهل من علمه وتخلق بأخلاقه
 وكان قد آمن به وسنه - كما تقول كتب السيرة (١) لا تتجاوز
 عشر سنوات ، وقد شهد معه المشاهد كلها ولزمه حتى الوفاة .
 ويروون أن أبا هاشم سئل عن مبلغ علم أبيه محمد بن الحنفية
 فقال : إذا أردتم معرفة ذلك فانظروا الى أثره في واصل بن
 عطاء (٢) كما أن دخول الشيعة الى الاعتزال في القرن الرابع أو
 ارتقاء المعتزلة في أحضان الشيعة ، جعلهم ينسبون مذهبهم الى
 علي تعصباً .

أما ابن المرتضى في أماليه فيقول : ان قول المعتزلة مأخوذ
 من كلام علي (٣) .

والى جانب تلك الأسانيد التي يحشدونها فانهم يحاولون
 الإستشهاد ببعض الحوادث الدامية التي وقف فيها المعتزلة الى
 جانب البيت العلوي في نضاله لا فتكاك السلطان مثل خروجهم
 مع ابراهيم بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٤) .
 ومناصرتهم للبيت العلوي بالمغرب (٥) سنة ٢٩٠ هـ .

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٥/١ .

(٢) - (٣) أدب المعتزلة ١١٢ .

(٤) فضل الاعتزال ١١٧ .

(٥) فضل الاعتزال ١١٩ .

ونجد من المعتزلة من ينسب مذهبهم الى الحسن البصري (١)
ذلك أن خلاف الحسن وواصل حول مسألة واحدة وهي المنزلة
بين المنزلتين لا يوجب اختلافها في كل المسائل سيما وواصل تلميذ
الحسن وعنه تلقى معارفه .

وقد بلغ بهم الأمر الى تأليف رسالة نسبوها الى الحسن
وادعوا أنه وَجَّهَهَا الى عبد الملك بن مروان أجابه فيها عن
سؤاله اياه حول القدر ، وقد أبطل الشهرستاني نسبة هذه
الرسالة الى الحسن وبيّن أنها لو اصل لأن الاجابة «توافق مذهب
القدرية» ولأن الحسن ما كان « ممن يخالف السلف في أن القدر
خيره وشره من الله تعالى ، فان هذه الكلمات كالجمع عليها
عندهم » (٢) .

وفي الحقيقة فان الحسن لا يمكن أن يكون معتزلياً وذلك:

١ - لأن الحسن يعتبر القول بالمنزلة بين المنزلتين بدعة تخرج
صاحبها عن عقيدة الجماعة (٣) .

٢ - ولأن المعتزلة أنفسهم لا يطلقون هذا الاسم الا عن

(١) فضل الاعتزال ١١٩ .

(٢) ملل الشهرستاني ٤٧/١ .

(٣) أدب المعتزلة ١١٦ .

آمن بأصولهم الخمسة كما سنبين ذلك (١) .

وبالإضافة الى ما حاولوه بالنسبة للسند من ربطه بالرسول ﷺ تارة وبعلي وأخرى وبالحسن البصري ثالثة ، فانتنا نجدهم يحاولون نسبة مذهبهم كذلك الى الكتاب والسنة بل الى السلف الصالح : فهذا القاضي عبد الجبار يستجيب لدعوة الصاحب بن عباد في تأليف كتاب عن المعتزلة ، ويكتب في مقدمته : (يجب أن املي كتاباً في أن مذهب المعتزلة هو الذي يقتضيه العقل والكتاب والسنة وهو الذي مر عليه السلف والخلف (٢) ويذكر في موضع آخر من كتابه قوله : (ليعرف من قرأ كتابنا أن التمسك بالسنة طريقتنا) (٣) . وحين يتحدث عن طريقتهم يذكر أن أصحابه قد (بينوها بحجج العقل والكتاب والسنة والاجماع) وامعاناً منهم في اثبات نسبة مذهبهم الى السلف ، نجدهم يتعلقون بأبسط التهم التي تنسب لبعض السلف ويحولونها الى حجج تسند جانبهم من ذلك أنهم يجعلون أبا الاسود الدؤلي أول من تكلم في القدر (٤) ويجعلون محمد بن اسحاق (ت ١٥١ هـ) وعمرو بن دينار ووهب بن منبه يرون القدر (٥) . وللرفع من قيمة

(١) أنظر ص ١٧ .

(٢) فضل الاعتزال ١٦٨ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٦ .

(٤) فضل الاعتزال ٧٩ .

(٥) فضل الاعتزال ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ .

يرى القدر و ابرازه في مظهر المتأثر بمقالات الصحابة وآرائهم ،
يضيف البلخي : (وجالس عمرو بن دينار من أصحاب النبي
ﷺ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير
وجابر بن عبد الله وروى عن كلهم^(١) .

وينسبون ابن أبي نجيح (ت ١٣١ هـ) الى الاعتزال بل هو
عندهم من رؤساء الدعوة^(٢) ، كما أن الجاحظ يحكي عن وهب
وهمام ابني منبه أنها يقولان بالعدل دون الاعتزال^(٣) .

وإن كل ما يحشدونه من الحجج لنسبة مذهبهم الى الرسول
والسلف الصالح ولاظهار كثرة أتباعهم من التابعين والعلماء
ليشير الى ما كانوا يعانونه من العزلة وهذا المعنى يحلوه قول
القاضي عبد الجبار مخاطباً للصاحب ابن عباد : (ولكي يأنس
الأمير بكثرة موافقيه من العلماء) .

فالمعتزلة اعتزلهم علماء الجماعة بقدر ما اعتزلوا هم قول الأمة
في قضايا اعتقادية كثيرة ، كما أن الجماهير المسلمة تبعاً لتوجيه
علمائهم قاطعوهم ذلك أنهم مدعوون الى تجنب البدع والمبتدعة .
والمعتزلة يعتبرون عند علماء السنة والجماعة من أخطر المبتدعة .

(١) فضل الاعتزال ٨٢ .

(٢) فضل الاعتزال ٨٣ .

(٣) فضل الاعتزال ٨٥ .



بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ

لقد عرف العالم الاسلامي حركات فلسفية متطرفة اثر دخول أفواج من الأمم ذات الديانات والفلسفات الوثنية الى الاسلام ، ولعل من أولى تلك الحركات الهدمية القدرية ثم الجهمية وهي تسمى أيضاً الجبرية التي قامت كرد فعل على القدرية .

القدرية :

والقدرية هم أولئك الذين يعتقدون أن الانسان صانع أفعاله وخالقها خيرا وشرها^(١) ولا دخل لقدرة الله فيها . وأول من تكلم في القدر في العالم الاسلامي نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر ، وقد استطاع أن ينفذ الى قلب معبد الجهني الذي أخذ عنه مقالته ، وعن معبد تلقاها غيلان الدمشقي ، فكان هذا الثالوث المستراب أول من أحدث هذه البدعة التي

(١) يقول ابن حجر : القدري : (هو من يزعم أن الشر فعل العبد وحده) هدي الساري ٢/٢٣٢ .

نهى الرسول ﷺ عن الجدل فيها^(١) .

الجبرية :

و كرد فعل للقدرية برزت عقيدة تقول : ان أفعال الانسان خيرها وشرها من الله وأن نسبتها الى العبد انما هي على سبيل المجاز كقولنا جرى النهر وانما الذي أجراه حقيقة هو الله ، فالانسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح (ولهذا قيل ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد)^(٢) .

وبالاضافة الى هذه العقيدة فان الجبرية تدين :

بنفي صفات الله تعالى وأسمائه^(٣) . وبما أن الكلام صفة من صفاته تعالى فهو في زعمهم حادث .

ولئن نسبت هذه الفرقة الى جهنم بن صفوان^(٤) فليل عنها جهمية ، فان الجعد بن درهم يعد هو المؤسس الأول لها ، فهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته^(٥) .

(١) أدب المعتزلة ١٢٠ .

(٢) ملل الشهرستاني ٤٣/١

(٣) منهاج السنة النبوية ٤٨٤/٢ .

(٤) (وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمد وقتله مسلم بن أحوز

الملازني بمرور في آخر ملك بني امية) ملل الشهرستاني ٨٦/١ .

(٥) ملل الشهرستاني - هامش رقم ١ - ٨٦/١ .

والى جانب هذا فان الجهمية تقول بانكار الرؤية^(١) .

وتلاشت كل من القدرية والجهمية الا أن المعتزلة ورثتها
وامتصت مبادئها لتظهر من جديد قوية على يدهم ، حتى أن
الامام الشافعي يجعل واصلاً وعمراً وغيلان الدمشقي في صف
واحد^(٢) ولعل هذا هو السبب في تسميتهم بالقدرية والجهمية :

فهم قدرية :

لأنهم ورثوا عن القدرية القول بنفي القدر ، ونسبة الأفعال
كلها الى العبد بلا تأثير من الله^(٣) .

وم جهمية :

لأنهم ورثوا عنهم القول بنفي الصفات وخلق القرآن وانكار
رؤية الله تعالى يوم القيامة^(٤) .

ولهذا قال ابن تيمية (فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي
معتزلياً)^(٥) ذلك أن المعتزلة يختلفون مع الجهمية في الجبر اذ

(١) المعتزلة ٨ - أدب المعتزلة ١٢١ .

(٢) فضل الاعتزال ٨٤ .

(٣) أدب المعتزلة ١٢٢ .

(٤) أدب المعتزلة ١٢٣ .

(٥) منهاج السنة ٤٨٤/٢

ينفون القدر في حين يثبت الجهمية الجبر^(١) .

والمعتزلة لا يرتضون هذه التسمية اذ يرون أن مثبتي القدر أولى بأن يسموا قدرية وينفرون كذلك من الانتساب الى الجهمية لأن جهماً يقول بالجبر فضلاً عن كونه غير تقي^(٢) يقول بشر بن المعتز: ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هم منا ولا نرضاهم^(٣) .

وانما يؤثرون أن يتسموا بأهل العدل والتوحيد ، كما يطلقون على أنفسهم الفرقة الناجية ، وقد سأل المنصور عمرو بن عبيد أن يعينه بأصحابه فأجابه :

(ارفع علم الحق يتبعك أهله)^(٤) اشارة الى أنهم هم أهل

الحق .

(١) فجر الاسلام ٢٨٧/٣ .

(٢) فجر الاسلام ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٣) المعتزلة ٩ .

(٤) المعتزلة ٦ .

مفهوم الإيمان عند المعتزلة

لم يجد المسلمون الأوائل حاجة للبحث في طبيعة الإيمان وهل هو قول أو فعل أو هما معاً ، وهل هو يزيد وينقص أم هو خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص حيث كان الإيمان عندهم على غاية من الوضوح ، حتى إذا ما تسربت الفلسفات والمذاهب الأجنبية إلى الإسلام عن طريق الداخلين إلى الإسلام ، ظهرت مثل هذه الأبحاث ، ويقول القاضي عبد الجبار (ان هذا القول حدث في أيام الحسن بن محمد بن الحنفية ، وأنه أول من أظهره)^(١) .

ولئن اتفقت كل الفرق الإسلامية على ان الإيمان هو التصديق بما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه^(٢) فانهم اختلفوا حول الجانب التطبيقي لهذا التصديق ، فمن الفرق من اعتبر العمل شرط صحة للإيمان ومنها من اعتبر العمل شرط كمال الإيمان ومنها من اسقط العمل اطلاقاً :

(١) فضل الاعتزال ١٥٩ .

(٢) فتح الباري ٥١/١ .

فاذا كان المرجئة يكتفون في الايمان بالتصديق بالقلب ،
وتضيف بعض فرقهم النطق باللسان ، ويقولون : (لا يضر مع
الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة) ، فان الخوارج لا
ينسبون شخصاً الى الايمان الا متى كان يأتي بالفرائض ويكف
عن الكبائر ، حتى أنهم يعتبرون مرتكب الكبيرة كافراً
مخلداً في النار^(١) .

بينما اعتبر المعتزلة العمل شرط صحة في ثبوت الايمان ،
فقالوا : الايمان هو تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل
بالجوارح^(٢) . وأما من ارتكب ما يفسقه فهو (لا مؤمن ولا
كافر) أي أنه في (منزلة بين المنزلتين)^(٣) .

ومما يستدلون به على أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً قوله
تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)^(٤) . فلا يجوز - على ملحظ القاضي
عبد الجبار - أن يكون الرسول ﷺ (رؤوفاً رحيماً بمن يقيم
عليه الحد من أهل الكبائر وبمن يلغنه)^(٥) . وهم يخلتدون

(١) فضل الاعتزال ١٥٩ .

(٢) فتح الباري ٥٢/١ .

(٣) مقالات الاسلاميين ٣٣١/١ .

(٤) التوبة ١٢٨ .

(٥) فضل الاعتزال ١٦١ .

مرتكب الكبيرة الذي لم يتب في النار غير أنهم يجعلون عذابه أهون من عذاب الكافر^(١) ولعل هذا ما جعل بعضهم يطلق عليهم مخانيث الخوارج لأن المعتزلة سيما شيخهم الأولين: واصل وعمرو كانا يوافقان الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولها أنه ليس بكافر^(٢) .

ويحتج المعتزلة لما ذهبوا إليه بعدد من الآثار منها قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) وقوله : (لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له)^(٣) وغيرها .

وفهمهم هذا للإيمان يوجب أن يكون الإيمان عندهم خصلة واحدة فلا يزيد ولا ينقص ، اذ متى قيل انه يزيد وينقص كان شكاً^(٤) حسب رأيهم .

(١) ملل الشهرستاني ٤٥/١ (وهو الوعد والوعيد) .

(٢) المعتزلة .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٩ .

تخريج : الحديث الاول : البخاري - كتاب المظالم - باب النهي بغير اذن صاحبه - فتح الباري ٤٥/٦ مسلم كتاب الايمان بيان نقصان الايمان بالمعاصي . ٧٦/١

تخريج الحديث الثاني : أخرجه أحمد في مسنده ١٣٥/٣ (المعجم المفهرس لانفاذ الحديث ١٢٠/١) .

(٤) فتح الباري ٥٢/١ .

ويورد أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين انقسام المعتزلة حول فهم الإيمان إلى ستة أقاويل^(١) مما يبين شدة اختلافهم وعدم اتفاقهم حتى إزاء قضية أساسية كالإيمان ، وقد انقسموا إلى فرق كثيرة عدد البغدادي منها اثنتين وعشرين فرقة^(٢) .

ف نجد منهم من يعمد إلى إفراغ الإيمان من كل محتوى من ذلك مثلاً أن إبراهيم النظام يرى أن الإيمان إنما هو اجتناب الكبير فحسب ، ويلزمه البغدادي - بناء على هذا المفهوم - أن تكون (الأقوال والأفعال ليس شيء منها إيماناً ، والصلاة عنده وأفعالها ليست بإيمان ولا من الإيمان وإنما الإيمان ترك الكبائر فيها)^(٣) .

أما جعفر بن مبشر فإنه ذهب إلى أن في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة ، وزعمه هذا يتضارب بدون شك مع قوله (إن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر)^(٤) إذ لا يجوز شرعاً وذوقاً أيضاً أن يكون الموحد أشر من الكافر .

(١) مقالات الإسلاميين ٣٢٩ - ٣٣٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ١١٥ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٤٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٦٨ .

ويذهب أبو الهذيل العلاف الى أن العمل قد يكون طاعة لله وأن العامل لا يُريد الله بَعْمَلِهِ^(١)، ويلتمس العلاف لكل صاحب هوى أو زنديق منفذ طاعة لله في أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره^(٢). وهو بهذا يضربُ صفحاً عن وجوب اخلاص النية لقبول الأعمال جميعاً كما وضع ذلك الحديث الصحيح (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٣).

والمعتزلة في كل ما ذهبوا اليه يخالفون السلف الصالح الذين ذهبوا بتوجيه من الكتاب والسنة الى أن الايمان هو (اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان ، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله)^(٤).

والفرق بينهم وبين المعتزلة هو أن هؤلاء جعلوا العمل شرطاً في صحة الايمان بينما أولئك جعلوا العمل شرطاً في كماله. ولذلك فان صاحب الكبيرة من أمة الاسلام يعتبر عند أهل السنة والجماعة مؤمناً لما يقربه من ايمان بالرسول والكتب المنزلة من الله ولتصديقه بكل ما جاء من الله تعالى الا أنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه اسم الايمان والاسلام وعلى هذا القول...

(١) فضل الاعتزال ٦٩ - الفرق بين الفرق ١٢٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٢٥-١٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - انظر فتح الباري ١/١٣ .

(٤) فتح الباري ١/٥٢ .

مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين) (١) .

ومما تجدر ملاحظته أن المعتزلة تعتبر الايمان والاسلام والدين عبارات مترادفة ذات معنى واحد (٢) ويستدل القاضي عبد الجبار على هذا المعنى بقوله تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه (٣) لأن الايمان ان كان غير الاسلام والعبادات أو كان فيها ما ليس من الايمان والاسلام والدين ، فيجب أن لا يكون مقبولاً (٤) .

(١) الفرق بين الفرق ١١٨ .

(٢) فضل الاعتزال ١٦١ .

(٣) آل عمران ٨٥ .

(٤) فضل الاعتزال ١٦١ .

أُصُولُ الْمُعْتَزِلَةِ

التزم المعتزلة أصولاً خمسة وجعلوا منها عنواناً لكل من
يبغي الانتساب الى مذهبهم ، وهذه المبادئ هي :

- ١ - التوحيد .
 - ٢ - العدل ولهذا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد .
 - ٣ - المنزلة بين المنزلتين .
 - ٤ - اثبات الوعد والوعيد .
 - ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .
- فمن أنقص منها أو زاد عليها أصلاً واحداً لا يستحق لقب
الاعتزال حتى أن أبا الحسن الخياط قال : (وليس يستحق أحد
اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة)^(٢) .

(١) انظر مقالات الاسلاميين ١/٣٣٨ فضل الاعتزال ٦٤ - المعتزلة ٥١ .

(٢) فضل الاعتزال ١٧ .

ويبدو أن الاعتزال في عصر البلخي (الكعبي) قد طرأت عليه تغييرات عدة فصار سمة لمن يقول بالتوحيد والعدل ولم يعتقد من سائر المقالات ما يزيل الولاء للمعتزلة أو يوجب عداوتهم .

أما من لم يعتقد التوحيد والعدل فلا يمكن أن يوصف بالاعتزال ، وان قال بالمنزلة بين المنزلتين وبقية المبادئ الخمسة .

ويضرب أبو القاسم البلخي (ت ٣١٩ هـ) مثلاً عن زال عليه لقب الاعتزال ورفضه أهله ضرار بن عمرو وأصحابه ، لأنهم لم يؤمنوا بالتوحيد والعدل ، وان قالوا بالمنزلة بين المنزلتين (١) .

والذي نلاحظه هو أن هذه الأصول الخمسة وما تفرع عنها من آراء ومباحث لم يصدر المعتزلة في تقريرها جميعاً عن المصادر الإسلامية المعتمدة وانما صدروا في الكثير منها عن مذاهب اللاهوت اليهودي و«المسيحي» وأصول الفلسفة اليونانية والديانات الفارسية (٢) .

فكثيراً ما تطالعنا في كتب الفرق أثناء الحديث عن أحد المعتزلة أو تحليل مبدأ من مبادئهم عبارات تثبت تأثرهم بهذه

(١) فضل الاعتزال ٧٥ .

(٢) أنظر أدب المعتزلة ١٢٣ .

المصادر الأجنبية مثل : (قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة و خلط كلامهم بكلام المعتزلة ^(١)) ومثل : (اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة) ^(٢) و (هذا قول أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة) ^(٣) ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره ومثل : (وقد أخذ العلاف عن أرسطوطاليس) ^(٤) .

فهم ولئن استندوا في آرائهم ومبادئهم الى القرآن وأصول الشريعة الا أنهم كثيراً ما يستعينون بمذاهب الفلاسفة لتأييد آرائهم حتى اذا ما صدموا بالتناقض بين الشريعة والفلسفة عمدوا الى تلفيق التوفيق بينها متناسين أن المنطلق الأول غير واحد، فالشريعة قائمة على الايمان بالتوحيد والفلسفة منشؤها الوثنية أو الالحاد .

الا أن هاملتون Hamilton يجعل محاولتهم تلك تهدف الى عرض مبادئ الدين في صورة مقبولة لدى المثقفين من الأعاجم ولسد تلك الفجوة التي كانت سبباً في حمل كثيرين على الزندقة) ^(٥) .

(١) الملل والنحل ١/٥٣/٥٤ .

(٢) الملل والنحل ١/٥٠ .

(٣) مقالات الاسلاميين ٢/٢٧٧ .

(٤) مقالات الاسلاميين ٢/٢٨٨ .

(٥) أدب المعتزلة ١٣٨ .

ولا ندري ما المراد بالصورة المقبولة ؟ فان كان يريد بها
خلو الشريعة من المنطق والرأي فهذا غير صحيح ، لأن الكتاب
والسنة لا يتعارضان اطلاقاً مع العقل . وان الآيات الكثيرة التي
تدعو إلى التدبر وأعمال النظر وإلى العلم الصحيح واجتهاد
الرسول ﷺ والصحابة ومجالس الشورى العديدة التي تنضح
ديموقراطية ومساواة وأخلاقاً عالية ، واجتهاد الأئمة فيما بعد
والتفريعات الكثيرة التي وصلوا إليها في إطار الإسلام . . . إن هذه
المعاني جميعها تثبت أن الإسلام دين العقل والمنطق ، ودين احترام
آراء الآخرين ما دامت معتدلة ومؤيدة بالعقل وغير متنافرة
مع الكتاب والسنة . أما القضايا الغيبية الماورائية فهذه لا يمكن
ان تُخضعَهَا للعقل وحده لأنه أعجز من أن يفهمها ويستوعبها
رغم ايماننا بقدرة العقل في غير القضايا الغيبية .

أما الفجوة التي كانت سبباً في حمل كثيرين على الزندقة - كما
يقول هاملتون - فلا تعود ان صحت إلا الى تمسك القوم بترائهم
العقدي الملحد أو الوثني أو حتى العقيدة السماوية المنحرفة ، فلم
يتفهموا الإسلام على حقيقته أو لم يَشَأُوا أن يفعلوا ، تحملهم على
ذلك شعبية عنصرية أو دوافع أخرى يحكمها الحقد .

وقد أثبت القدامى والمحدثون صدور المعتزلة في العديد من
أصولهم عن الكثير من الآراء الأجنبية التي لا تنسجم وعقيدة
التوحيد .

فبعد القاهر البغدادي يشير الى تأثير النظام وهو أحد كبار
زعماء المعتزلة بالثنوية لأنه عاشر في شبابه قوماً منهم كما يبين أنه
تأثر بقوم من ملحدة الفلاسفة بفعل مخالطته لهم في كبره ،
وبالروافض لأنه خالط هشام بن الحكم الرافضي بل فحتى
البراهمية لم يسلم النظام من التأثير بهم في إبطاهم النبوات (١) .

كما أن الدارسين الغربيين يثبتون تأثير المعتزلة بالتيارات
والمذاهب الأجنبية عن الإسلام :

ففون كريمير Von Kremer يثبت تأثيرهم في نشأتهم باللاهوت
اليوناني ومستينر Stainer يذكر تأثيرهم في آخر تطوراتهم
بالفلسفة اليونانية ، كما أن مكدونالد Macdonald يبين تأثيرهم
بأساليب الكلام اليونانية . ودي بور de Beor يقول انهم تأثروا
بعوامل مسيحية أبلغ التأثير .

أما هاملتون فيذهب إلى أن المعتزلة كانوا يصبون عقائدهم
في قوالب الأفكار اليونانية ويستوحون تأملاتهم الدينية من
المتافيزيقا اليونانية بدلاً من القرآن (٢) .

وهذه الحقائق كلها هي التي جعلت أهل السنة والجماعة

(١) الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) أنظر أدب المعتزلة ١٢٣ - ١٢٤ - ١٤١ - ١٤٢ .

ينفرون من الاعتزال ويتصدون لأرائه لدحضها وفضحها .

المنزلة بين المنزلتين :

بدأت بهذا الأصل لأنه يعتبر نواة مذهب الاعتزال ومنطلقه الأول ، وقد سبق أن صورت السبب الأول لنشوء هذا المذهب وما اكتنفته من ظروف سياسية وعقدية ، وأحداث عاشتها الأمة الإسلامية ، وبقيت تجتر مرارتها وآثارها ردحاً طويلاً من الزمن .

فالعلاقة بين نشوئهم وبين هذا المبدأ علاقة عضوية ، وهو أصل من الأهمية بحيث تكاد تتفق عليه كل فرق المعتزلة (١) .

وأول من نادى بهذا المبدأ وأظهر القول فيه واصل بن عطاء الغزال (٢) فقد سمي مرتكب الكبيرة فاسقاً على أساس أنه لا يستحق أن يسمى بالاسم الشريف الذي هو الايمان والاسلام ، ولا بالكفر ، ومن سماه مؤمناً أو كافراً فإمناً سماه بذلك وهو لا يملك الدليل وعليه فالأولى به أن يسمى بالفسق ، وهذا هو القول بالمنزلة بين المنزلتين (٣) وهو موقف استقل به عما دان به الخوارج والمرجئة .

(١) الفرق بين الفرق ١١٥ .

(٢) فضل الاعتزال ١٧ وانظر الفرق بين الفرق هامش رقم ٢ ص ٢٠ .

(٣) فضل الاعتزال ٦٤ انظر فجر الاسلام ٢٩٧ .

ولرسوخ قدمه في هذا المبحث ألف واصل كتاباً عنون له بالمنزلة بين المنزلتين^(١) وراح زعماء المعتزلة يؤيدون هذا الأصل بمزيد من الشرح والدرس وجمع الأدلة محاولة منهم أن يزيلوا عنه ما وصفه به السلف الصالح من الابتداع ، حتى أن القاضي عبد الجبار ذهب إلى أن هذا الأصل يروى مثله عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٢) ، وهم حين وضعوا مرتكب الكبيرة أو الفاسق كما يسمونه في المنزلة بين المنزلتين في الحياة الدنيا فانهم خلدوه في النار يوم القيامة^(٣) .

التوحيد :

لشدة تعلق المعتزلة بالعدل والتوحيد أطلقوا على أنفسهم اسم أهل العدل والتوحيد ، فهم يعتبرون أنفسهم أولى الناس بهذه العقيدة وأقدرهم على الدفاع عنها ضد كل التيارات الهدمية سواء منها دينية منحرفة أو فلسفية ملحدة .

وفعلاً فكتبهم حافلة بأخبار المجالس والمناظرات التي عقدوها لتجلية عقيدة التوحيد ودحض ما يتعلق به بعض الملاحدة والوثنيون من شبه ، كما ان ارتيادهم الآفاق وانتقالهم في

(١) فضل الاعتزال ١٧ - الاعلام للزركلي ١٢٢/٩ .

(٢) فضل الاعتزال ١٦١ .

(٣) ملل الشهرستاني ٨١/٧٠/١ .

الأمصار، وارسالياتهم المتعددة لمناقشة المخالفين ومجادلة الملحدين
والمعاندين كي تتركز عقيدة التوحيد في البلاد المختلفة ، كل هذه
البوادر تثبت جهدهم المتواصل لنصرة عقيدتهم .

وكان زعمائهم في مقدمة المناضلين لغرس هذه العقيدة لا
تحول بينهم وبينها المخاطر والأتعاب حتى أن أحد شعرائهم نوه
بخصال وأصل فقال :

ملقن ملهم فيما يحاوله : جم خواطره جواب آفاق^(١)

ولتعلقهم بالتوحيد نجدهم يحضون للدفاع عنه وبيان معالمة
كتباً كاملة من ذلك ما ينسب لواصل بن عطاء باسم خطب في
التوحيد والعدل^(٢) ، وما ينسب لأبي رشيد سعيد بن محمد
النيسابوري بعنوان « في التوحيد »^(٣) .

ورغم إيمانهم بأن كل مكلف معه دليل معرفة الله بصفاته ،
فانهم يحشدون ما توفر لديهم من الآثار التي تثبت التوحيد ليشدوا
بها أزر مذهبهم مثل قوله (ص) : (رأس العلم معرفة الله حق
معرفته ، بأن تعرفه بلا مثل ولا شبه ، وانه عالم قادر

(١) أدب المعتزلة ١٥٠ .

(٢) فضل الاعتزال ١٨ .

(٣) حققه محمد عبد الهادي ابو ريده وطبعته المؤسسة العامة للتأليف

والنشر .

واحد (١) .

إلا أن المعتزلة غلوا في التوحيد والتنزيه حتى وقموا في المخطور وانحرفوا عن المبيع الرشيد ، أوقعهم في ذلك تأثرهم بالفلسفات الذخيلة التي تحولت الى مشرع ينهلون ويقتبسون منه الكثير من آرائهم فذهبوا الى :

أ - نفي صفات الله الأزلية . ب - وبالتالي نفي أزلية كلامه فأحدثوا القول بحدوث القرآن . ج - كما نفوا رؤية الله تعالى يوم القيامة .

وتكاد تجمع على هذه الآراء كل فرق المعتزلة (٢) .

أ - نفي صفات الباري :

وقد سمي المعتزلة لنفيهم صفات الله بالمعطلة ، وقد غلوا بعضهم في ذلك غلواً كبيراً ، وكان من أعظمهم (فرية في تدقيق القول بنفي الصفات) (٣) معمر بن عباد السلمي .

وكان هدفهم من نفي صفات الباري هو تركيز مفهوم الوجدانية اذ هم يرون أن من أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد

(١) فضل الاعتزال ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) الفرق بين الفرق ١١٤ .

(٣) ملل الشهرستاني ٦٥/١ - ٦٦ .

أثبت إلهين^(١) ، كما اعتقدوا أن صفاته لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية^(٢) وقالوا : أن (ما قامت به الصفات فهو جسم ، لأن الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم إلا بجسم)^(٣) .

لذلك فإنهم جعلوا صفاته هي عين ذاته وقالوا : علم الله هو الله وقدرته هي هو^(٤) .. وهو عين ما قاله الخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية^(٥) .

فهذا أبو الهذيل يذهب إلى أن الله عالم بعلم هو هو وقادر بقدره هي هو وحي بحياته هي هو... ويقول الله وجه هو هو ، فوجهه هو هو ، ونفسه هي هو^(٦) .

والمعتزلة تفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال ، ويقولون بأن صفات الذات لا يجوز أن يوصف البارئ بأضدادها ولا بالقدرة على أضدادها ؛

-
- (١) ملل الشهرستاني ٤٦/١ - فجر الإسلام ٢٩٧ .
 - (٢) ملل الشهرستاني ٤٤/١ .
 - (٣) منهاج السنة ١٦٩/٢ .
 - (٤) الفرق بين الفرق ١٢٧ .
 - (٥) مقالات الإسلاميين ٢٤٤/١ .
 - (٦) مقالات الإسلاميين ٢٤٥/١ - الملل ٤٩/١ - ٥٠ .

من ذلك صفة العلم ، فالله عالم ولا يجوز أن يوصف بالجهل
ولا بالقدرة على أن يجهل .

بينما صفات الأفعال كالإرادة والحب والبغض والرضا
والسخط والأمر والنهي ، فيجوز أن يوصف البارئ سبحانه
بأضدادها وبالقدرة على السخط وهكذا (١) .

بل ولم يتورع أحد زعمائهم وهو أبو علي الجبائي عن القول
بجواز اشتقاق أسماء الله من أفعاله ، مما جعل أبا الحسن الأشعري
يلزمه أن يسمي الله بمحبل النساء لأنه خالق الحبل فيهن ، والتزم
الجبائي ذلك فقال له الأشعري :

(بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى في تسمية الله أباً
لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم) (٢) .

وهكذا نرى أن المعتزلة انغمسوا في جدل عقيم حول ذات
الله وصفاته ، وقد نهى الرسول ﷺ أمته عن مثل هذا الجدل
فقال : (ما ضل قوم بعد هدى إلا لقنوا الجدل) (٣) ذلك أن
الجدل في الاعتقادات كثيراً ما يؤول بصاحبه إلى الانسلاخ عن

(١) مقالات الإسلاميين ١٩٥/٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١١٩/٢ .

الدين وهو ما وقع فعلاً للكثير من المعتزلة (١) حتى أن بعضهم وصف الله بالمعجز وجعل قدرته متناهية (٢) .

وكان المعتزلة يقفون موقف التأويل ازاء كل الآيات والأخبار التي تتعارض ومذهبهم في نفي الصفات بل فهم لا يتورعون عن رد بعض الآثار :

فردوا مثلاً قول الرسول ﷺ لرجل ضرب آخر على وجهه (لا تفعل ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته (٣) فقد قال عنه القاضي عبد الجبار ، فمثل هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها إذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة) (٤) .

وتأولوا ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز من اليد بأنها النعمة ، كما تأولوا قوله تعالى (ولتصنع على عيني (٥) أي بعلمي (٦) وزعموا أن المراد بقوله تعالى (ذو القوة) (٧) الشديد

-
- (١) أنظر مناظرة بشر بن المعتور في قوله عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم (سورة المجادلة ٧) جامع بيان العلم ١١٩/٢ - ١٢٠ .
(٢) انظر مقالة علي الاسواري - الفرق بين الفرق ١٥١ .
(٣) الحديث خرجه البخاري انظر فتح الباري ١٣ / ٢٣٨ - مسلم ٤ / ٢٠١٧ ، ٢١٨٣/٤ والإمام أحمد في مسنده .
(٤) فضل الاعتزال ١٥١ .
(٥) سورة طه ٣٩ .
(٦) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٤٥ .
(٧) الذاريات ٥٨ .

ويؤكد علماء الفرق والعقيدة أن المعتزلة انما تأثروا في نفسيهم
لصفات الله تعالى ، بما قاله اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون
أن للعالم صانعاً لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي (٢) . حتى
أن العلاف نقل مقالة أرسطوطاليس عنها في نفيه لصفات
الباري تعالى (٣) .

وذكر الغزالي أن مذهب اليونان في الذات القائل بأن ذات
الله واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه ، قريب من مذهب
المعتزلة .

وبالإضافة الى أرسطو هناك أفلوطين الذي تأثر به المعتزلة
فيما ذهب اليه من الرأي حول ذات الله ونفي صفاته القديمة (٤) .

ويقول المحقق الكبير محمد محيي الدين عبد الحميد : (وكان
المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها في
تأييد نزعاتهم ، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهذيل
والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحت من أقوال فلاسفة اليونان .

(١) فتح الباري ١٧/١٣٠ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١٧٧/٢ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١٧٨/٢ .

(٤) أدب المعتزلة ١٣٥ - ١٣٦ .

وبعضها يستقي من نبعه ويفتخر من معينه بشيء من التحوير
والتعديل (١) .

لما كان للسيحية دور خطير في اشاعة هذه البدعة فقد
أفرزها يحيى الدمشقي الذي كانت له ولأبيه مكانة مرموقة في
السلطان الأموي ، وقد بنى المعتزلة الكثير من أبحاثهم على
آرائها (٢) .

وبدعة المعتزلة هذه لم تعد من يشيد باشعاعها وتأثيرها حتى
أن آدم متز جعل لمبحثهم في ذات الله وصفاته أثراً بعيداً في
مذهب سبينوزا الذي مرره بدوره الى الفكر الأوربي (٣) .

والمذهب الحق في هذا الموضوع هو ما ذهب اليه سلف الأمة
الصالح من الوقوف عند الوصف الذي وصف الله به نفسه ،
ووصفه رسوله محمد ﷺ من غير تعطيل ولا تكيف أو هو على
حد تعبير ابن تيمية (اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل) (٤)
ذلك أن الواجب على المسلم في هذا المضمار الايمان بما ثبت عن
الرسول ﷺ فيصدق خبره ويطاع أمره (٥) .

(١) مقالات الإسلاميين مقدمة المحقق ٢٣/١ .

(٢) أدب المعتزلة ١٢٢ .

(٣) ادب المعتزلة ١٤٦ .

(٤) منهاج السنة ٨٠/٢ .

(٥) منهاج السنة ١٥٩/٢ .

فقوله تعالى ليس كمثله شيء^(١) دحض لما ذهب إليه الممثلة من تشبيهات ، وقوله وهو السميع البصير^(٢) رد على المعطلة^(٣) .

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم وردت فيه آيات كثيرة محكمة الدلالة على تنزيه الله ، ووردت آيات قليلة توهم التشبيه . فكان السلف يتمسكون بآيات التنزيه ويغلبونها لكثرتها ، بينما آمنوا بالآيات التي توهم التشبيه ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل ، ودعوا للايمان بها كما جاءت ، وبذلك خالفوا المحسنة المشبهة كما خالفوا المعطلة النفاة لصفات الله^(٤) ، أولئك الذين تصوروا أنهم بصنيعهم هذا ينزهون الله .

ولعل من أطف ما يصور عقم مباحثهم ما يروى عن الجنيد أنه مر بقوم من المتكلمين فسأل : من هؤلاء فقييل : قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال : نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب^(٥) .

ب - قولهم بخلق القرأت :

ولما كان القديم الأزلي هو الله وحده ، وكانت صفاته هي

(١) و (٢) الشورى ١١ .

(٣) منهاج السنة ٢/٨٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٨٣١ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ٨٣٧ - ٨٣٨ .

عين ذاته ، فانهم اتفقوا على أن القرآن مخلوق حادث في محل (١)
لأنه غير ذاته تعالى .

فالقرآن - عندهم - كلام والكلام عرض يفتقر الى حركة ،
وهي حادثة ، فلا يقوم الا بجسم (٢) .

وهذه بدعة صرح السلف بخلافها (٣) ، ولا تخفف من حدة
انحرافها ما يعالها به بعضهم من أنها رد على كفر النصارى الذين
جعلوا عيسى ابناً لله لأنه كلمته القديمة ، بل وذهبوا الى تأليهه .

وقد صار القول بخلق القرآن محنة قاسية فتن بها المسلمون
ردحاً طويلاً من الزمن ، أيام استفحال أمر المعتزلة الذين لقنوا
بعض الخلفاء هذا الرأي (فحمل الناس عليه وخالفهم أئمة
السلف فاستحل لخلافهم أيسار (أموال وأجسام) كثير منهم
ودماؤهم (٤) حتى أن المأمون أنشأ سنة ٢١٨ هـ وهي سنة وفاته
قانوناً يلزم المسلمين القول بخلق القرآن ، والا جردهم من حقوقهم
المدنية (٥) .

(١) ملل الشهرستاني ٤٥/١ - الفرق بين الفرق ١١٤ - فتح الباري
٢٣١/١٧ - (وأضاف الى المعتزلة الجهمية والامامية وبعض الزيدية وبعض
الخواارج) .

(٢) منهاج السنة ١٦٩/٢ .

(٣) و (٤) مقدمة ابن خلدون ٨٣٣ .

(٥) أدب المعتزلة ١٣٧ .

وهذه البدعة كسابقاتها لها أصولها في التراث الوثني أو شبه الوثني من فلسفة يونانية أو أساطير فارسية أو مسيحية أشركت بالله ، أو يهودية تراوح الانحراف فيها بين الشرك بالله (وقالت اليهود عَزَيْزُ ابن الله) (١) وتجسيمه (٢) وتأميمه حيث جعلوا منه إله بني اسرائيل بمفردهم (٣) :

فقد قرر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن بشر بن المرسي وهو أحد كبار المروجين لخلق القرآن ، كان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة . كما أن أول من نشر هذه البدعة - كما يقول ابن الأثير - يهودي يسمى لبيد بن الأعصم ، وكان يقول بخلق التوراة فأخذ عنه مقالته ابن أخته طالوت ، ونسج على منوالها للقرآن .

أما ابن قتيبة فيذهب الى أن أول من افتجر بدعة خلق القرآن المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان من أتباع عبد الله بن سبا اليهودي (٤) .

فلا غرابة إذاً في أن يرفض قبولها الفكر الاسلامي غير

(١) التوبة ٣٠ .

(٢) أنظر التوراة - سفر التكوين - الاصحاح الثالث - جاء عن خطيئة آدم وحواء : (... وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ...) .

(٣) اليهود واليهودية ٣٥ .

(٤) أدب المعتزلة ١٢١ - ١٢٢ .

ج - نفي الرؤية

النتيجة الثالثة لعقيدتهم في التوحيد اتفقهم على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار^(١) يقول أبو القاسم البلخي المعروف بالكمي ، في كتابه مقالات الاسلاميين (المعتزلة مجمعة على أن الله جل ذكره شيء لا كالأشياء . وأنه ليس يحسم ولا عرض ، بل هو الخالق للجسم والعرض ، وان شيئاً من الحواس لا يدركه في دنيا ولا في آخرة)^(٢) ، لأن العين لا ترى الأجسام أو قائماً يحسم ، ولما تنزه الله عن ذلك استحالته رؤيته بالأبصار .

ووقفوا من الأحاديث التي تثبت رؤية الله في الجنة موقف الرد في حين تأولوا الآيات التي تفيد الرؤية ، وكان تأويلهم متمحلاً متعسفاً ، كما سنبين ذلك في مواطن انحرافهم عن الحديث الصحيح .

العدل :

لئن كان الايمان بعدل الله من القواعد الأساسية عند جميع

(١) ملل الشهرستاني ٤٥/١ ، ٧٥ ، ٨١ - الفرق بين الفرق ١١٤ .

(٢) فضل الاعتزال ٦٣ .

المسلمين الا أن المعتزلة جعلوا منه محوراً أساسياً في تفكيرهم ،
وراحوا يقيمون عليه الأدلة ويفلسفونه ويستنبطون منه بعض
الآراء المنافية لعقيدة الاسلام الواضحة غير المعقدة ، حق أنهم
انزلقوا في وصف الله بما لا يليق به .

وفي بيان الدليل على عدل الله قالوا : ان العقل السليم يدل
على عدل الله ونفي الظلم عنه تعالى كما أن آيات القرآن العزيز
عنها تنطق بعدل الله :

(شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً
بالقسط) (١) - وهو العدل - و (ما ربك بظلام للعبيد) (٢)
وكذلك السنة الشريفة تثبت عدله تعالى : فقد صح أن الرسول
ﷺ روى عن ربه : (اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
محرمًا بينكم ، فلا تتظالموا يا عبادي : انتم تخطئون بالليل والنهار
وأنا أغفر الذنوب ولا أباي ، فاستغفروني أغفر لكم) (٣) وعن
الصحابه يقول القاضي عبد الجبار : (فأما ما كان عليه أصحاب
رسول الله ﷺ من القول بالعدل فظاهر) (٤) .

وذهب بهم هوسهم بالعدل الى جعل الله يسوي بين

(١) آل عمران ١٨ .

(٢) فصلت ٤٦ .

(٣) خرج نحوه مسلم في صحيحه ٤/١٩٩٤ ، ١٩٩٥ .

(٤) فضل الاعتزال ١٤١ ، ١٤٢ .

المؤمنين والكافرين في الولاية : يقول أبو سهل بشر بن المعتمر :
(ان الله تعالى ما والى مؤمناً في حال ايمانه ولا عادى كافراً في
حال كفره)^(١) مخالفاً بذلك عشرات الآيات التي تثبت ولاية
الله للمؤمنين . يقول تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور)^(٢) ويقول : (والله ولي المؤمنين)^(٣) .

أما ابراهيم النظام فيجعل الله يعدل بين سكان الجنة جميعاً ،
لا يفرق بين البشر والحيوان ولا يفضل صنفاً على آخر تطبيقاً
لمبدأ العدل .

والمعتزلة يعتبرون تعذيب أطفال الكافرين من الظلم الذي لا
يغتفر ، مستدلين على ذلك بما رواه أنس بن مالك عن الرسول
أنه سئل عن أطفال المشركين فقال : هم خدم أهل الجنة^(٤) .

كما أن معاملة الله لأطفال المؤمنين تتصف بالعدالة الكاملة
فلا يفضل ابراهيم ابن الرسول ﷺ بأية درجة عن بقية أطفال
المؤمنين^(٥) .

(١) الفرق بين الفرق ١٥٧ .

(٢) البقرة ٢٥٧ .

(٣) آل عمران ٦٨ وانظر الآيات : البقرة ١٠٧ - المائدة ٥٥ -
الاعراف ١٥٥ - سبأ ٤١ وغيرها .

(٤) فضل الاعتزال ١٤٨ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٤٥ .

وانتهى بهم غلوهم في العدل وعدم تقيدهم بفهم السلف له
ونهلهم من المصادر الأجنبية الى الايمان بالأمور التالية :

أ - نفي القدر :

وليكون الله عادلاً جعلوا الانسان خالقاً لأفعاله خيرها
وشرها كامل الحرية والاستقلال في اختياراته ، فهو بما ركب
الله فيه من قدرة يخلق عمله ، ويختار أحد النجدين دون أن
تؤثر في مقدرته عوامل خارجية ، وبذلك استحق الثواب أو
العقاب في الدار الآخرة حسب ما قدم في الدنيا من خير أو
شر^(١) وبذلك يعارضون الجهمية الذين يقولون بالجبر .

وهذه المعاني جميعها تتساوى مع المنطق بل ومع الدين ، لولا
أنهم نفوا القضاء والقدر ظناً منهم أن في الايمان به جبراً أو
بالتالي نقياً لعدالة الإله اذ كيف يجبر العبد على فعل ثم يحاسب
عليه ؟

والذي يلفت النظر هو أن بعض المعتزلة كالجاحظ وثمانية
ابن الاشرس وان أثبتنا أن القدر خير وشره من العبد فانها
يعلان كسب الانسان مقتصرأ على الارادة ، أما بقية أفعاله

(١) الفرق بين الفرق ١١٤ - ١١٥ - ملل الشهرستاني ١/٤٧٠٤٥ ،

٦٦ ، ٨١ - فجر الإسلام ٢٩٧ .

فهي تصدر منه طباعاً^(١) تماماً كما يصدر النور عن الشمس والضوء عن القمر .

والذي أدى بالمسلمين الى الجدل في هذا ، انما هو وجود آيات تثبت الجبر كقوله تعالى : (كذلك يضل من يشاء - ويهدي من يشاء)^(٢) .

و (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)^(٣) .

و (قل لا أملك لنفسي نقماً ولا ضراً الا ما شاء الله)^(٤) .

وآيات أخرى تثبت الحرية : وما (ربك بظلام للعبيد)^(٥) .

(وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)^(٦) .

(فما كان ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)^(٧) .

(فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها)^(٨) .

(١) ملل الشهرستاني ٧٥/١ .

(٢) ابراهيم ٤ .

(٣) النحل ٣٦ .

(٤) الاعراف ١٨٨ .

(٥) فصلت ٤٦ .

(٦) النحل ١١٨ .

(٧) البقرة ٧٠ .

(٨) يونس ١٠٨ .

ولما كان المعتزلة يرون في الايمان بالقضاء والقدر خدشاً للعدالة ، مالوا الى نفيها والتعلق بكل ما يثبت حرية الانسان المطلقة ، متأولين الآيات التي تتعارض ومذهبهم ورادين الأحاديث الصحيحة التي تجعل الايمان بالقضاء والقدر الركن الاساسي في الايمان .

جاء في حديث جبريل سؤاله للرسول ﷺ : (فأخبرني عن الايمان) فقال النبي ﷺ : (أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

وليؤيد المعتزلة مذهبهم فانهم نسبوه الى الحسن البصري ، فذكروا أنه أثر عنه قوله : من زعم أن المعاصي من الله ، جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم قرأ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) (٢) كما نسبوا اليه قوله : (كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي (٣)) .

أصل هذا الرأي :

وحين نتفحص هذه الآراء نجدها دخيلة على روح الاسلام ، فقد تسربت الى المعتزلة من خلال تأثرهم بالفلسفات والديانات

(١) صحيح مسلم ٣٧/١ .

(٢) الزمر ٦٠ .

(٣) فضل الاعتزال ٨٧ .

الاجنبية ، ذلك أن الديانة الزرادشتية والمسيحية والفلسفة اليونانية بحثت هذا الموضوع^(١) .

ويقال : ان أول من أظهر القول في القدر معبد الجهني وغيلان الدمشقي اللذان أخذاه عن نصراني أسلم ثم تنصر^(٢) .

ويقول فون كريمير Von kremer ان المعتزلة تأثروا في رأيهم في القدر بأب كنسي مسيحي هو يحيى الدمشقي الذي عاشر المسلمين وتأثروا به كثيراً . وهو رأي لا يقلل من شأنه رد أحمد أمين له حيث جعل البحث في القدر مسألة أصيلة في الفكر الاسلامي بناء على ما تضمنه القرآن والسنة من آيات وآثار تدعو الى الايمان به^(٣) .

ب - الصلاح والأصلح :

وايمان المعتزلة بعدل الله وتنزهه عن الظلم ساقهم الى القول بنظرية الصلاح والأصلح أي أن الله بناء على عدله لا يفعل الا ما فيه صلاح العبد وخيره .

والمثير في هذا الموضوع هو أنهم من ناحية يثبتون للعبد

(١) أدب المعتزلة ١١٩ .

(٢) فجر الاسلام ٢٨٥ .

(٣) أدب المعتزلة ١٤٢ ، ١٤٣ .

الحرية المطلقة في جميع أعماله الى درجة نفوا بها القضاء
والقدر ، ومن ناحية أخرى يقيدون حرية الله ، وحق قدرته ،
تحت ستار العدل ، بل ويوجبون على الله رعاية هذا الأصلح (١) ،
حتى أن النظام قال : (بأن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف
ما فيه صلاحهم ... ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار
ذرة ... ولا يقدر أن يخرج أحداً من أهل الجنة عنها ، ولا
يقدر على أن يلقي في النار من ليس من أهل النار ... كما أن
الله لا يقدر على أن يعمي بصيراً أو يزمن صحيحاً أو يفقر غنياً ...
لأنه تعالى علم أن أصلح الأمور كونه على ما هو عليه الآن) (٢) .

وهذه المعاني أخذها المعتزلة عن قدماء الفلاسفة الذين
(قضوا بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله ، فما أبدعه
وأوجده هو المقدر ، ولو كان في عمله تعالى ومقدوره ما هو
أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وتركيباً وصلاحاً لفعله) (٣) .

والذي لا شك فيه أن القرآن يثبت لله الحرية والقدرة
المطلقة والعلم الأزلي والتفرد بالحكمة ، كما أن السنة الصحيحة
قدحض ما ذهب اليه المعتزلة ، فالله لا يجب عليه رعاية الأصلح
بدليل الحديث الصحيح : عن عبد الله بن مسعود حدثنا رسول

(١) فتح الباري ٢٨٦/١٤ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٣٣ .

(٣) الملل للشهرستاني ٥٤/١ .

الله ﷺ وهو الصادق الصدوق: (قال ... فوالله ان أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع^(١) فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)^(٢) .

وقد استدل بهذا الحديث (على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح خلافاً لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض الناس يقضي جميع عمره في طاعة الله ثم يختم له بالكفر - والعياذ بالله - فيموت على ذلك فيدخل النار ، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يجبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما ان طال عمره وقرب موته من الكفر)^(٣) .

ج - الحسن والقبح العقليان :

وليكون عدل الله كاملاً غير منقوص وجزاء العبد وفاقاً لسعيه في الحياة الدنيا يجب - في نظر المعتزلة - أن تكون للعقل صلاحية ادراك حسن الأفعال والأشياء وقبحها^(٤) ،

(١) الباع : هو مسافة ما بين الكفين اذا بسطتهما يمينا وشمالاً (المصباح المنير) ٧٣/١ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب القدر الحديث الأول انظر فتح الباري ٢٧٧/١٤ - ٢٨٨ .

(٣) فتح الباري ٢٩١/١٤ .

(٤) ملل الشهرستاني ٧١/١ ، ٥٨/١ .

حق وان لم يرد بها الشرع^(١)، فالقبح والحسن ذاتيان في الأشياء
بمعنى موضوعيان بلغة العصر - والعقل بمركب الله فيه من
قدرة على التمييز يستطيع بمفرده الوصول الى الحق فيها .

بل ينبغي أن يكون العقل هو الفيصل في مجال التحسين
والتقبيح لأن معرفة الحسن والقبح واجبات عقلية^(٢) ، وعلى
الانسان وجوب السعي لفعل الحسن: كالصدق والعدل والاعراض
عن القبيح كالكذب والجور^(٣) .

وهذا يعكس اكبـارهم الشديد للعقل واعتدادهم بقدرته
ما وقع بهم في مزالقة تعطيل الشريعة اذ بدل أن يسلطوها على
العقل جعلوا العقل حكماً عليها .

وقد بلغ بهم هذا الاعتداد الى القول ان على العاقل تحصيل
معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال^(٤) وان قصر في المعرفة
استوجب العقوبة أبداً^(٥) . واعظام العقل لا يتنافى مع
الاسلام اطلاقاً الا أن جعله فوق مستوى كل شبة هو الذي
يدحضه واقع الحياة البشرية .

(١) فجر الإسلام ٢٩٨ .

(٢) ملل الشهرستاني ٤٥/١ ، ٨١ .

(٣) ملل الشهرستاني ٥٢/١ .

(٤) ملل الشهرستاني ٥٨/١ .

(٥) ملل الشهرستاني ٥٨/١ .

الوعد والوعيد :

ايمان المعتزلة بهذا الأصل متساوق مع فهمهم للعدل ، هذا العدل الذي جعلوه يقضي على الفاسق بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا والتخليد في النار يوم القيامة وجعلوه يحد من قدرة الله عز وجل كما رأينا في ايمانهم بالصلاح والأصلح .

وايمانهم بعدل الله جعلهم يقطعون أيضاً بالوعد والوعيد ذلك أن (المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها خلد في النار وكان عذابه أخف من عذاب الكفار)^(١) . فالله موف بوعدده منجز لوعيده حتماً لأنه صادق ولا مبدل لكلماته ، فهو لا يفر الذنوب الا بعد التوبة^(٢) .

وبلغ ببعضهم الافراط في الايمان بهذا المبدأ الى القول : ان الله لا يقبل توبة المقلع عن الذنب بعد المعجز عن اعترافه ، فهذا أبو هاشم بن أبي علي الجبائي يقول : لا تصح توبة من خرس لسانه عن الكذب ولا توبة من جب ذكره عن الزنى^(٣) .

بل وذهب بهم تشبثهم بالوعد الى نكران الشفاعة التي

(١) المعتزلة ٥١ .

(٢) المعتزلة ٥١ - ٥٢ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٩١ .

تضافرت آيات القرآن العزيز والسنة النبوية الشريفة على تقريرها، ولا دليل لهم على ذلك الا أنها تتعارض مع ما أحدثوه من الوعيد . مما جعلهم يؤولون الآيات التي تثبت الشفاعة ويتمسكون بالآيات التي ينفي ظاهرها الشفاعة أما الآثار التي تثبتها فأعرضوا عنها كلية .

وقد لجأ القاضي عبد الجبار الى التأويل لما عورض مبدأهم هذا بقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(١) ، فقال يحمل قوله تعالى ما دون ذلك على صفات المعاصي^(٢) .

وأدرك عمرو بن عبيد أن الله محاسبه على قوله بالوعد والوعيد ، فتخيل موقفه يوم القيامة ودفاعه عن رأيه ، فقال : (فأقام بين يدي الله فيقول لي : أنت قلت : ان القاتل في النار؟ فأقول : أنت قلت ثم أتلو : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)^(٣) فقال قريش بن أنس لعمر بن عبيد : ان الله تعالى يقول : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فاذا قال لك : من أين علمت أنني لا أشاء أن أغفر لهذا؟

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥٤ .

(٣) سورة النساء ٩٢ .

فأفحم عمرو بن عبيد (١) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صميم عقيدة الاسلام،
فالقرآن يدعو أمة محمد ﷺ أن تتبني هذا المبدأ وتعمل به
فقال : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٢) .

ولعل الإشكال هنا يتمثل في ما المراد بالمعروف وما هو
المنكر ؟

والمعروف عند المعتزلة هو ما أجمعوا عليه والمنكر هو ما
يراه مخالفوهم ، (وقد أجمعت المعتزلة الا الأصم على وجوب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الامكان والقدرة : باللسان
واليد والسيف ، كيف قدروا على ذلك) (٣) .

يقول القاضي عبد الجبار : أن الواجب علينا النصيحة في
الدين بأن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر على شرط الطاقة (٤) .
وقد استخدم المعتزلة كل سلطانهم لفرض آرائهم حول خلق

(١) ميزان الاعتدال ٣/٤٧٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٣٣٧ .

(٤) فضل الاعتزال ١٣٩ .

القرآن ، حتى أنهم أقاموا المحاكم لمحاكمة المناوئين لهم ومصادرة
حرياتهم وحقوقهم كلها إيماناً منهم أنهم يخدمون الحقيقة
وينصرونها .

كما استخدم المعتزلة سلطانهم الأدبي لمقاومة المجون والفساد :
فقد نهى واصل بشار بن برد عن مجونه وغوايته فلم يرعو ،
فتهدده بالقتل ، ولكنه أنف من اغتياله وأثر نفيه الى حران ،
فلم يعد الى البصرة إلا بعد وفاة واصل .

وقاوم عمرو بن عبيد عبد الكريم بن أبي العوجاء ، واتهمه
بالزندقة والاحاد ، وافساد الشباب ، وهدده بالقتل ان لم يغادر
مصرهم (١) .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة لم يفسده الا
تعسفهم في فهمه وتطبيقه .

(١) المعتزلة ٥٢ - ٥٣ .



مَوْقِفُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنَ السُّنَّةِ

لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة الآنفه الذكر وما تفرع عنها من آراء وجعلوا منها القاعدة والأساس الذي تنطلق منه كل محاوراتهم ومعاملاتهم مع النصوص سواء كانت قرآناً أو سنة ، فكان ما يعارض مبادئهم (من آيات يؤولونها وما يعارضها من أحاديث، ينكرونها... ولذلك فإن موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك في صحته ، وأحياناً موقف النكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل) (١).

واعمال العقل كما سبق أن ذكرنا لا يتنافى إطلاقاً مع الشريعة ، بل فقد دعا الاسلام الى اعمال الرأي في أكثر من آية وأكثر من حديث ، وقد استخدم علماء الجرح والتعديل من علماء الحديث العقل كذلك لتمحيص الأخبار ونقد الرواة ، إلا أن العقل ينبغي أن يحسن استعماله في مواضع المنصوص عليها في

(١) ضحى، الاسلام ٨٥/٣ .

الشريعة بعيداً عن كل زندقة وتعننت وإلحاد ، هذه المعاني التي تفسد العقل كأداة تقويم قيمة لنصوص الحديث وغيرها وتحوله عن وجهته الصحيحة .

ولعله من المفيد أن نعهد الحديث عن موقفهم من السنة بكلمة عن مكانة وأهمية العقل عند المعتزلة :

لقد أجمع السلف على أن العقل والاجتهاد عموماً يحتل المرتبة الثالثة بعد القرآن ثم السنة ، إلا أن المعتزلة خالفوا هذا الاجماع ونصبوا العقل على رأس الأدلة إذ به - كما يقولون - يدركون القرآن نفسه وغيره من الأدلة .

فهذا القاضي عبد الجبار في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية يقول في تصنيفها ما يأتي : (أولها العقل لأن به يميز بين الحسن والقبح ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة ، وكذلك السنة والاجماع) . ولا شك أنه مدرك مخالفته وصحبه لاجماع الأمة فقال : (وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والاجماع فقط ، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر ، وليس الأمر كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل) (١) .

ويواصل تمجيد العقل فيبين أنه انما يتوصل الناس الى معرفة

(١) فضل الاعتزال ١٣٩ .

الله وادراك حكمته بالعقل ... وهكذا فهم أول من حكم العقل في النص لدرجة سمح معها ابراهيم النظام لنفسه أن يقول : وان جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار^(١) كما أن عمرو بن عبيد ذكر له ذات يوم حديث الرسول ﷺ فقال : (لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتة ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقنا)^(٢) .

وبذلك أهملوا قدسية النص الصحيح قرآناً وسنة خلية عن الهوى ، وأقاموا العقل حكماً لا ترد كلمته ، وحملوه بالاضافة الى مهمة التحسين والتقييح - التي بينها قريباً - مسؤولية (معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع)^(٣) حتى أن الجاحظ يقرر أنه لا يجوز للعبد أن يبلغ ولا يعرف الله^(٤) ذلك أن أصول المعرفة عندهم واجبة وضرورية ويمكن ادراكها بالعقل قبل ورود السمع^(٥) .

ويضيف ثمامة بن أشرس الى هذا أن من لم يضطر اليها فهو

-
- (١) تأويل مختلف الحديث ٤٣ .
 - (٢) ميزان الاعتدال ٢٧٨/٣ .
 - (٣) ملل الشهرستاني ٧٠/١ .
 - (٤) فضل الاعتزال ٧٣ .
 - (٥) ملل الشهرستاني ٤٥/١ .

سخرة للعباد وغيره كسائر الحيوانات غير المكلفة (١) .

بل وذهب ثامة وتلميذه الجاحظ الى القول إن المعارف كلها طباع رغم كونها أفعالاً للعباد ، فهي تصدر عنهم دون أن يكون لهم فيها أثر ولا اختيار اذ لا يملكون إلا الإرادة (٢) مما جعل البغدادي يلزمها أن أفعال العباد من أوامر ونواهي لا توجب ثواباً ولا عقاباً لأنها طباع ليست كسباً (٣) ورغم هذا فقد جلب مسلكتهم الممالء للعقل على حساب القرآن والسنة عطف الكثير من نقاد الغرب فكالوا لهم شهادات الاستحسان والاكبار وقد تعود الكثير من نقاد الغرب المسيحيين الإشادة بكل ما صار في ذمة التاريخ عند المسلمين حتى يشعروا الأجيال الحاضرة أن لا شيء مما يتمسكون به يدعو الى الإكبار وبالتالي الى الاعتزاز :

فهذا شتينر Stainer أطلق عليهم اسم : « المفكرون الأحرار في الاسلام » وجعل من هذا اللقب عنوان كتابه عنهم .

ووصفهم آدم ميز Adam Mez وهاملتون Hamilton بأنهم دعاة الحرية الفكرية والاستنارة .

(١) فضل الاعتزال ٧٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٧٥ ، فضل الاعتزال ٧٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٧٦ .

أما فولدزير فيرفع عقيرته بالثناء عليهم ويصفهم بأنهم
(وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصراً مهماً آخر
قيماً وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعداً بشدة عن هذه
الناحية) (١) .

هكذا يتجاسر فولد زير على قلب الحقائق مسقطاً الواقع
الذي يثبت اجتهاد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين...
وكتب السنة والسيرة والتاريخ والفقه والخلاف والمقارنات
الفقهية حافلة بما يؤيد اجتهادهم وتعويلهم على العقل الذي لم يبق
في اجازة في انتظار المعتزلة ليكتسب فعاليتيه .

وقبل أن أختم هذا التمهيد الموجز أريد أن أشير الى
ملاحظة مهمة وهي أن المعتزلة رغم ارتعائهم في أحضان العقل
بدون تروٍّ ورغم مجافاتهم للكثير من نصوص الحديث وتفسيرهم
في تأويل العديد من آي الذكر الحكيم فانهم لا يرتاحون حين
يتهمهم خصومهم بأن كتبهم ومباحثهم خالية من سنن الرسول
ﷺ ، اذ هم يدعون لأنفسهم التمسك بالسنة وبالجماعة ، وكثيراً
ما ينقلبون على منسأوئهم باللائمة فيتهمونهم بأنهم لا يعرفون
حقيقة السنة (٢) .

(١) أدب المعتزلة ١٧٢ .

(٢) فضل الاعتزال ١٨٥ .

وسوف نتتبع حقيقة موقفهم من السنة بدراسة آرائهم ازاء
الموضوعات التالية :

أ - موقفهم من الصحابة حملة العلم النبوي .

ب - ومن الاخبار المتواترة .

ج - ومن أخبار الآحاد .

د - ومن عدد جم من الأحاديث النبوية .

أ - رأيهم في الصحابة :

كان موقف المعتزلة من الصحابة خالياً من كل روح ديني ،
فهم يعرضونهم على مشرحة انتقادم ولا أقول نقدم دون أن
يتورعوا عن إصاق كل تهمة بهم ، وهي تهم متحملة متعسفة
تثبت لأصحابها سوء الطوية أكثر مما تثبته من حب البحث عن
الحقيقة .

ومما يلفت الانتباه أن بعض المعتزلة يعيب على الصحابة
الاجتهاد اجتهاد الرأي هذا الذي جعل منه المعتزلة عنواناً لهم ،
والذي قدموه على القرآن نفسه كما أسلفنا ، حين يطبقه الصحابة
يصبح عند المعتزلة من العيوب التي لا تغتفر والتي يؤخذ بها
وعليها أصحابها .

فهذا النظام يقول : (ان الذين حكموا بالرأي من الصحابة

اما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم وجهلوا تحريم الحكم
بالرأي في الفتيا عليهم ، واما أنهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف
وأن يكونوا رؤساء في المذاهب ، فاختراروا لذلك القول
بالرأي^(١) وبذلك نسبهم كما يقول البغدادي (الى ايثار الهوى
على الدين^(٢)) . بل فان النظام ضرب المثل السيء في الوقعة
الفاحشة في الصحابة أجمعين^(٣) ولم يتورع عن ايجاب الخلود في
النار على أعلام الصحابة .

وحين يفاضل العلماء بين الخلفاء الراشدين حسب اجماع الأمة
على مبايعتهم على الخلافة أولاً بأول ، نجد أبا علي الجبائي لا
يبت في أيهم أفضل^(٤) ؟ امعاناً في مخالفة اجماع الأمة .

ولإثارة الشبه وتعميق الحزازات يبعثون القول في حقيقة
مقتل عثمان ، فهذا أبو الهذيل يقول : (لا ندرى قتل عثمان
ظالماً أو مظلوماً ؟)^(٥) ، وقبله يعلن واصل بن عطاء أنه لا
يعرف ، هل كان عثمان هو المخطيء أم قاتلوه وخاذلوه ؟^(٦) .

(١) الفرق بين الفرق ١٤٨-١٤٩ .

(٢) ملل الشهرستاني ٥٨/١ .

(٣) الفرق بين الفرق ٣١٩ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١٤٧/٢ .

(٥) مقالات الاسلاميين ١٤٣/٢ .

(٦) الفرق بين الفرق ١٤٧ .

حتى اذا ما وصل الأمر الى النظر في أصحاب الجمل وصفين
فجدهم ينسبون الصحابة الى الفسق جلت أقدارهم وعلت عن
ذلك علواً كبيراً ، فهذا واصل بن عطاء يجعل أحد الفريقين
المتخاصمين في الجمل وفي صفين مخطئاً لا يعينه تماماً كالمتلاعنين
فان أحدهما فاسق لا محالة .. (وأقل درجات الفريقين أنه لا
تقبل شهادتها كما لا تقبل شهادة المتلاعنين)^(١) .

وبناء على هذا فإنه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب
علي والآخر من أصحاب الجمل ، فهو يقول : (لو شهدت عندي
عائشة وعلي وطلحة علي باقة بقل لم أحكم بشهادتهم)^(٢) . وقبل
شهادة رجلين من أصحاب علي وشهادة رجلين من أصحاب
طلحة والزبير^(٣) اذ قد يكون أحد الفريقين عدلاً وعلي صواب ،
وهو رأي تبناه بعد ذلك ضرار بن عمرو وأبو الهذيل ومعمر
ابن عبّاد السلمي حيث قالوا جميعاً : (نحن نتولى كل واحد من
الفريقين على انفراد)^(٤) .

وهكذا يكونون قد شكوا في عدالة علي وطلحة والزبير

(١) ملل الشهرستاني ٤٩/١ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ - الفرق بين الفرق ١٢٠ - ملل
الشهرستاني ٤٩/١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٢٠ ، ٣٢٠ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١٤٥/٢ .

مع شهادة النبي ﷺ لهؤلاء الثلاثة بالجنة ومع دخولهم في بيعة الرضوان وفي جملة الذين قال الله تعالى فيهم : لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم : فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً^(١) .

وتقدم عمرو بن عبيد خطوة أخرى في تفسيق أصحاب الجمل ، فقطع بفسق الطرفين المتحاربين جميعاً ، وقال : (لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل)^(٢) وبلغ به الأمر في امتهانهم الى القول : لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شرك^(٣) نعل ما أجزت شهادتهم^(٤) وهذا منه متساوق مع ما جبل عليه من كراهتهم وشتيمهم^(٥) .

أما ابراهيم النظام وبشر بن المعتمر وبعض المعتزلة ، فانهم صوبوا علياً في حروبه وخطأوا من قاتله ، فنسبوا طلحة والزبير وعائشة ومعاوية الى الخطأ^(٦) وانتفاء العدالة عنهم .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٢١، ٣٢٠ .

(٣) شرك ج شرك : ككتاب سير النعل ويجمع أيضاً على اشرك، ونقول

شركت النعل انقطع شراكها (القاموس المحيط ٣/٣٨، ٣١٩) .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٥ .

(٥) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٤ .

(٦) مقالات الاسلاميين ٢/١٤٥ .

وقولهم هذا لا شك باطل مردوول ومردود ، فقد قال الله تعالى : وان طائفان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما (١) فسامهم مؤمنين مع الاقتال (٢) .

وعديدون هم الصحابة الذين ألبتهم السنة المعتزلة وأقلامهم بالقدح والتجريح فهذا ابو بكر الصديق ثاني اثنين اذ هما في الغار ، وأول من أسلم من الرجال ، وصديق الرسول وحببيه ينال منه النظام فيتهمه بالتضارب في أقواله ، وذلك حين امتنع عن القول في شيء من متشابه القرآن الذي لا يعلم تأويله الا الله فقال لما سئل عنه : (أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ... اذا أنا قلت في آية من كتاب الله تعالى بغير ما أراد الله) (٣) ثم سئل عن الكلالة فقال : (أقول فيها برأيي ، فان كان صواباً فمن الله وان كان خطأ فمني هي ما دون الولد والوالد) (٤) .

وكان عمر هدفاً لتهجمات النظام وطعناته فقد زعم أنه شك يوم الحديدية في دينه وذلك لما سأل الرسول : ألسنا على

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) الباعث الحثيث ١٨٢ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢٤٠٢٠ - جوابه عن الكلالة : أنظر فضل

الاعتزال ١٤٧ ، ضحى الاسلام ٨٨/٣ - ٨٩ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٤٧ - ملل الشهرستاني ٥٧/١ .

الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟ فقال الرسول ﷺ : نعم . قال
عمر : فلم نعظ الدنيا في ديننا ؟ فغيرة عمر على الدين ورغبته
المخلصة في نصرته اعتبرها النظام تردداً وشكاً !!

وآمن النظام بفرية الشيعة في الوصية بالخلافة لعلي وهي
البدعة التي اختلقها عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسلم ليكون
رأس الفتنة ، واتهم النظام عمر بأنه كتمها وبادر بمبايعة أبي
بكر ليحرم آل البيت ، بل فان عمر كما يزعم النظام (ضرب
يوم البيعة بطن فاطمة حتى ألقى الجنين من بطنها ، وكان يصيح :
أحرقوا دارها بمن فيها ، وما كان في الدار غير علي وفاطمة
والحسن والحسين) .

بل فحتى نفي عمر لشاعر المدينة الوسيم نصر بن حجاج^(١)
الى البصرة مخافة فتنة النساء اعتبره النظام من مطاعن عمر ، كما
أخذ عليه جلده في الحمر ثمانين جلدة^(٢) وأعد احياءه لسنة

(١) شاعر من أهل المدينة كان جميلاً ، قالت إحدى نساء المدينة :

يا ليت شعري عن نفسي أراهقة مني ، ولم أقض ما فيها من الحاج

هل من سبيل الى خمر فأشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج

وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر فقال : (لا ادري رجلاً في المدينة تهتف له
العواتق في خدورهن وطلبه فجاء : فأمر به فحلق شعر رأسه ، ثم نفاه الى
البصرة) الاعلام ٣٣٩/٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ٣١٩ .

التراويح بدعة تذكر له بالذم^(١) .

ثم اتهمه بما اتهم به أبا بكر رضي الله عنه من التناقض في أقواله ، حيث نسب اليه قوله (أجرؤكم على الفتيا في ميراث الجد اجرؤكم على النار) ثم قضى في الجد بمائة قضية مختلفة^(٢) .

وأحكام النظام كلها تصور قلة غيرته على الاسلام ، وميله الى الابتداع ، وهدم ما يَتَمَيَّزُ به أعلام الاسلام من هيبة في نفوس المسلمين لكي يزرع فيهم خيبة الأمل ويخلخل في نفوسهم كثيراً من القيم التي يمثلها صحابة الرسول ﷺ .

ولم يسلم عبد الله بن مسعود (تـ ٣٢ هـ) من طعن النظام فقد عاب عليه إعماله الرأي في الفتيا^(٣) وتجراً على نسبه الى الكذب ورد عدداً كبيراً من أحاديثه كحديث السعيد من سعد في بطن أمه ، وحديث انشقاق القمر^(٤) وغيرها ...

فقد قال عن حديث انشقاق القمر : وهذا من الكذب

(١) الفرق بين الفرق ٣١٩ - ملل الشهرستاني ٥٧/١ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ٢٠ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ - الفرق بين الفرق ١٤٨ - ملل

الشهرستاني ٥٧/١ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٤٨ - الملل ٥٨ / ١ - ضحى الإسلام ٣ /

٨٦ - ٨٧ .

الذي لا خفاء به ، لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ، ولا
لآخر معه وإنما يشقه ليكون آية للعالمين ... فكيف لم يعرف
بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ،
ولم يسلم عنده كافر ولم يحتج به مسلم على ملحد^(١) ؟ !

وقال عن الحديث الأول : (ولو كان ابن مسعود بدل
نظره في الفتيا ، نظر في الشقي كيف يشقى والسعيد كيف
يسعد ، حتى لا يفحش قوله على الله تعالى ، ولا يشتد غلظه
لكان أولى به ... (٢)) .

وللنظام في ثلب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الباع الطويل ،
فقد عاب عليه :

أ - إيواؤه الحكم بن أمية إلى المدينة وهو طريد رسول
الله ﷺ .

ب - ونفيه أبا ذر الغفاري إلى الربذة وهو صديق رسول الله
ﷺ .

ج - واستعماله الوليد بن عقبة على الكوفة وهو من أفسد
الناس حتى أنه صلى بالناس وهو سكران .

د - أعان سعيد بن العاص بأربعين ألف درهم على نكاح
عقده .

(١) - (٢) تأويل مختلف الحديث ٢١ .

هـ - تزويجه ابنته مروان بن الحكم^(١) .

ونال النظام أيضاً من حذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هـ) أمين سر الرسول ﷺ في المنافقين الذين لم يعلمهم أحد غيره^(٢) فشتمه واتهمه بالكذب وزعم أنه حلف لعثمان على أشياء ما قالها وقد سمعوه قالها !!)^(٣) .

وحين أفتى علي برأيه قال عنه النظام : (من هو حتى يقضي برأيه^(٤) ؟!) .

ولم يتورع عن الطعن في أبي هريرة والقول عنه (كان أكذب الناس^(٥)) . وادعى أن عمر وعثمان وعلياً وعائشة رضي

(١) الفرق بين الفرق ١٤٨ - الملل ١/٥٧ - ومروان بن الحكم هو الخليفة الاموي الرابع ووالد عبد الملك بن مروان ، كان مروان قد قاتل علياً مع طلحة والزبير في معركة الجمل ، وشهد صفين مع معاوية ، وقد شارك في العديد من الفتن التي نشأت في المدينة الاعلام ٨/٩٤ .

(٢) كان حذيفة من الولاة الشجعان الفاتحين، وكان عمر يحمله وكان موضع ثقته حتى أنه اذا مات ميت يسأل عن حذيفة فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر والا لم يصل عليه (الاعلام ٢/١٨٠) .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢٢ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٤٨ ، ٣١٩ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٤٧ .

الله عنهم أكذوبه^(١) .

وقد خطأ بعض المعتزلة معاوية (ق ٦٠ هـ) ولم يقولوا
بإمامته^(٢) ، وكان عرضة لهجوم القاضي عبد الجبار حيث وسم
أعماله بالباطل^(٣)

ولم يسلم سمرة بن جندب (ق ٦٠ هـ) من شتم عمرو بن عبيد ،
فقد سأله أحدهم عن حديث لسمرة فقال له : (ما تصنع بسمرة ؟
قبح الله سمرة)^(٤) !!

وموقف المعتزلة من صحابة رسول الله ﷺ عموماً يتراوح
بين شك في عدالتهم منذ عهد الفتنة ، كما فعل واصل وبين
مفسق لهم جميعاً كعمرو بن عبيد وبين (طاعن في أعلامهم
متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق كالنظام ، وذلك يوجب
ردم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناء على
رأي واصل وعمرو ومن تبعهما)^(٥) .

وما ذهب إليه المعتزلة كما يقول ابن كثير : (باطل مردول

(١) تأويل مختلف الحديث ٢٢ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١٤٥/٢ .

(٣) فضل الاعتزال ١٤٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٤ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ٢٠٨ .

ومردود (١) ، وهو يخالف للسنة مخالفة صريحة ذلك أن من الذين كفروهم شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير (٢) . كما كان العديد من الصحابة الذين نسبواهم إلى الكذب والضلال ضمن أهل بيعة الرضوان الذين أشاد الله بذكورهم (٣) .

يعتزله لا
يعترفون بثبوت
هذه الشهادات

وبما يؤيد منافاة طعنهم على الصحابة للسنة الصحيحة ما جاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال : (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٤) ويشرح ابن حجر معنى القرن فيقول : (والمراد بقرن النبي في هذا الحديث الصحابة) (٥) .

وقال الرسول ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) (٦) .

(١) الباعث الحثيث ١٨٢ .

(٢) الباعث الحثيث ١٨٤ هامش رقم ١ .

(٣) أنظر آية ١٨ من سورة الفتح .

(٤) صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي ، انظر الفتح ٨ / ٥٠٥ .

الكفاية ٩٤ .

(٥) فتح الباري ٦/٨ .

(٦) معنى الحديث : لا ينال أحدكم بانفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والاجر ما ينال أحدكم بانفاق مد طعام أو نصيفه . والحديث أخرجه البخاري في جامعه كتاب فضائل الصحابة ، انظر فتح الباري ٨/٣٣ وفي مسلم ٤/١٩٦٧ - سنن أبي داود ٥١٨/٢ - التقييد والايضاح ٣٠١ .

يقول الامام الغزالي : فأبي تعديل أصح من تعديل علام
الغيوب سبحانه وتعديل رسول الله ﷺ ، كيف ولو لم يرد
الثناء ، لكان فيما اشتهر وتواتر عن حالهم في الهجرة والجهاد
وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاته رسول الله
ﷺ ونصرته كفاية في القطع بعد التهم^(١) .

وقد أجمع سلف الأمة وجماهير الخلف على عدالة الصحابة
بما فيهم من لابس الفتن^(٢) ، وصار استنقاصهم آية من آيات
الزندقة والمروق عن الاسلام يقول ، أبو زرعة : (اذا رأيت
الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه
زنديق^(٣)) . ذلك أن طعنهم وتنقصهم لا يعدو كونه هذياناً
بلا دليل الا مجرد (رأي فاسد عن ذهن بارد ، وهوى متبع ،
وهو أقل من أن يرد والبرهان على خلافه أظهر وأشهر : مما
علم من امتثالهم أوامره بعده عليه الصلاة والسلام ، وفتحهم
الأقاليم والآفاق ، وتبليغهم عنه الكتاب والسنة ، وهدايتهم
الناس الى طريق الجنة ومواظبتهم على الصلوات والزكوات
 وأنواع القربات في سائر الأحيان والأوقات مع الشجاعة
والبراعة والكرم والايثار والاخلاق الجميلة التي لم تكن في أمة

(١) المستصفى ١/١٦٤ .

(٢) التقييد والايضاح ٣٠١ .

(٣) الكفاية ٩٧ .

من الأمم المتقدمة ولا يكون أحد بعدهم مثلهم في ذلك ،
فرضي الله عنهم أجمعين) (١) .

ب - انكارهم للحديث المتواتر

يعتبر حديث رسول الله ﷺ الأصل الثاني للتشريع
الاسلامي باجماع علماء الأمة الاسلاميه ، وتنقسم السنة باعتبار
عدد روايتها الى متواتر وآحاد .

وعرف علماء المصطلح المتواتر بقولهم (هو ما رواه جمع
كثير عن جمع كثير يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة أو
صدوره منهم اتفاقاً ، وأن يكون مستند انتباههم الحسن
ويصحب خبرهم افادة العلم بنفسه لسامعه) (٢) .

وعرفه أبو عمر يوسف بن عبد البر بأنه (اجماع تنقله
الكافة عن الكافة . وهو من الحجج القاطعة للأعداء اذا لم
يوجد هناك خلاف ، ومن رد اجماعهم ، فقد رد نصاً من نصوص
الله يجب استتابته عليه ، واراقة دمه ان لم يتب لخروجه مما
أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم) (٣) وان لم
ينعقد الاجماع على تواتره ، بل وقع الخلاف فيه ، يكون منكروه

(١) الباعث الحثيث ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) محاضرات في علوم الحديث ٧/٢ وما بعدها .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٤١/٢ - ٤٢ .

من الفاسقين^(١) .

ودرج المعتزلة على مخالفة اجماع الامة على افادة المتواتر
القطع :

وذهب النظام الى جواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر
رغم خروج ناقله عند سماع الخبر عن الحصر^(٢) بناء على ما
يعتقده من أن الحجة العقلية جديرة وقادرة على نسخ الاخبار^(٣)
ولا يستغرب انكاره للمتواتر ما دام ينكر حجية الاجماع كما
سنرى ويحوز اجتماع الأمة على الضلالة^(٤) .

ويرى أبو الهذيل أن (الحجة لا تقوم فيما غاب عن الحواس
من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها ، الا بخبر عشرين
فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ، ولا تخلو الأرض عن جماعة
هم أولياء الله معصومون لا يكذبون ، ولا يرتكبون الكبائر ،
فهم الحجة ، لا المتواتر ، اذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا
يحصون عدداً اذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم واحد
معصوم)^(٥) .

(١) محاضرات في علوم الحديث ٢٥/٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٤٣ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٤٣ .

(٤) الفرق بين الفرق ٢٢٨ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٢٨ - ملل الشهرستاني ٥٣/١ .

وفي انكارهم للتواتر واشتراطهم - لثبوت الخبر - أن يكون أحد رواته من أهل اللجنة ، تعطيل للأخبار الواردة في الأحكام الشرعية وبذلك يَتَفَصَّوْنَ من الأوامر والنواهي ويتحللون من الشريعة تماماً .

ج - ردم لخبر الآحاد

وخبر الآحاد هو ما رواه واحد أو اثنان أو ثلاثة فأكثر دون بلوغ عدد التواتر أو وصل ولكن فقد شرطاً من شروط التواتر ، وقد اشترط العلماء في روايه لقبوله العدالة والضبط (١) .

ومتى توفرت فيه شروط القبول يصبح حججه معمولاً به وجوباً على رأي الجمهور سواء كان خبر الآحاد صحيحاً لذاته أو صحيحاً لغيره حسناً لذاته أو حسناً لغيره (٢) ، بل ذهب بعضهم الى القول بأنه يوجب العلم والعمل جميعاً (٣) .

وخالف المعتزلة ما ذهب اليه جمهور العلماء المسلمين ، وردوا خبر الواحد مشترطين التعدد ، فهذا أبو الحسن الخياط

(١) فتح الباري ١٦ / ٣٦٠ .

(٢) تيسير علوم الحديث والرد على اعداء السنة ٨٣ .

(٣) جوامع بيان العلم وفضله ٤٢ / ٢ .

أنكر حجة أخبار الآحاد^(١) وهذا أبو علي الجبائي - كما ينقله
عنه المازري وغيره^(٢) - لا يقبل الخبر إذا رواه المعدل
الواحد إلا :

أ - إذا انضمَّ إليه خبر عدل آخر .

ب - أو عضده ظاهر خبر آخر أو موافقة ظاهر الكتاب .

ج - أو عمل به بعض الصحابة .

بل فقد نسب بعضهم إلى الجبائي أنه لا يقبل الخبر إلا إذا
رواه أربعة^(٣) .

وللمعتزلة في رد خبر الواحد حجج نذكر منها :

١ - قصة ذي اليمين^(٤) وكون النبي ﷺ توقف في خبره
حتى تابعه عليه غيره .

٢ - وقصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة في ميراث
الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة^(٥) .

(١) الفرق بين الفرق ١٨٠ .

(٢) فتح الباري ٣٦٠/١٦ .

(٣) المصدر السابق ١٦ - ٣٦٠ - تدريب الراوي ٧٣/١ .

(٤) ذو اليمين؛ هو الخرباق بن عمرو؛ أنظر زهر الربي على المهتبي ١٨/٣ .

وانظر قصة ذي اليمين في الفتح ٣٦٥/١٦ .

(٥) جاء في فتح الباري ٣٦٢/١٦ : ويتوقف أبو بكر وعمر في حديثي

المغيرة في الجددة وفي ميراث الجنين ، حتى شهد بها محمد بن مسلمة (.

٣ - وقصة عمر حين توقف في خبر أبي موسى في الاستئذان
حتى تابعه أبو سعيد الخدري^(١) .

وقد تناول علماء السنة التدليل على حجية خبر الواحد فعقد
الامام الشافعي باباً بهذا العنوان في رسالته^(*) ، كما أن البخاري
عقد في جامعه الصحيح باباً لهذا الغرض ترجم له بقوله : باب
ما جاء في اجازة خبر الواحد الصدوق ، ولا يكاد كتاب من
كتب المصطلح يخلو من اثبات حجية خبر الواحد ودحض
الشبه التي تحوم حوله ، وقد تولى ابن حجر الرد على حجج
المعتزلة في خبر الآحاد ، فبين أن توقف الرسول ﷺ في قبول
خبر ذي اليمين لا حجة فيه للمعتزلة لأن سؤال ذي اليمين
عارض علم الرسول ، وكل خبر واحد اذا عارض العلم لم
يقبل^(٢) .

وانفراد ذي اليمين بمراجعة الرسول ﷺ دون المصلين
جميعاً على كثرتهم وأهميتهم مما يدعو الرسول الى استبعاد حفظ
ذي اليمين وتجويز الخطأ عليه^(٣) وقد طفحت كتب الآثار
بأمثلة عديدة تؤيد اعتبار الرسول ﷺ لخبر الواحد حجة فقد

(١) تدريب الراوي ١/٧٣ .

(*) الرسالة ١٥٩

(٢) فتح الباري ١٦/٣٦٢ .

(٣) فتح الباري ١٦/٣٦٥ .

(بعث رسله واحداً واحداً الى الملوك ، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم الى قبائلهم ، وكانت الحجة قائمة باخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد^(١) .

أما عن قصة توقف أبي بكر في خبر المغيرة بن شعبة في ميراث الجدة ، فهذا ليس منه مطرداً ، فهو يطلب مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة ، باعتباره راوياً فرداً . وقد قبل أبو بكر أخبار آحاد كثيرة^(٢) .

وأما قصة عمر فان أبا موسى أخبره بذلك الحديث بعد أن أنكر عليه رجوعه بعد الاستئذان ثلاثاً ، وتوعده : فأراد عمر أن يتثبت خشية أن يكون أبو موسى انما أورد الحديث دفعاً عن نفسه^(٣) .

وغاية ما يؤخذ من الحديث - على حد تعبير ابن بطال - (التثبت في خبر الواحد لما يجوز عليه من السهو وغيره^(٤) سيما وجاء في إحدى الروايات أن عمر قال لأبي موسى (أما اني لم اتهمك ولكني أردت أن لا يتجرأ الناس على الحديث عن رسول الله ﷺ) .

(١) تدريب الراوي ٧٣/١ .

(٢) أنظر فتح الباري وتدريب الراوي ٧٣/١ .

(٣) المصدرين السابقين .

(٤) فتح الباري ٢٦٧/١٣ - وانظر الرسالة ١٨٨ .

وقد قبل عمر كثيراً من أخبار الآحاد المدول :

أ - فقد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف وحده في أخذ الجزية من الجوس^(١) .

ب - كما قبل خبره في الرجوع عن البلد الذي فيه الطاعون^(٢) .

ج - وقبل خبر الضحاك بن سفيان في توريث امرأة أشيم من دية زوجها^(٣) .

د - كما قبل خبر عمرو بن حزم في أن دية الأصابع سواء^(٤) .

هـ - وقبل أيضاً خبر سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين^(٥) .

و - وقبل خبر حمل بن مالك بن النابغة في دية الجنين ، وكاد يحكم فيه باجتهاده ، وقد قال : (لو لم أسمع فيه

(١) سنن أبي داود ١٥٠/٢ .

(٢) تدريب الراوي ٧٤/١ - الرسالة ١٨٦ - البخاري انظر فتح الباري ٢٩٣/١٢ - ٢٩٤ .

(٣) تدريب الراوي ٧٤/١ - الرسالة ١٤٨ - ١٨٥ انظر فتح الباري ٢٦٧/١٣ .

(٤) فتح الباري ٣٦٢/١٦ .

(٥) فتح الباري ٣١٧/١ - ٣١٨ - ٣٦٢/١٦ .

لقضينا بغيره (١) كما قبل غيرها من الأخبار .

وهكذا يتبين لنا أن حجج المعتزلة واهية أمام واقع عمل الرسول ﷺ والصحابة (رض) بأخبار الآحاد .

وقد يضطر المعتزلة أحياناً لقبول خبر الواحد (٢) - لسبب أو لآخر - إلا أنهم حين يضطرون إليه فلا يروونه بصيغة الجزم وإنما يروونه بصيغة التَّمْرِيضُ (٣) .

وردهم لخبر الآحاد يفسر هدفهم الرامي إلى إنكار أكثر أحكام الشريعة لأن أغلب الفروض والمسائل الشرعية قائمة على أخبار الآحاد (٤) .

د - تشكيك المعتزلة وانكارهم للكثير من الأحاديث :

لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة وما يتفرع عنها من المبادئ والمفاهيم وجعلوا منها قاعدة يخضعون لها كل النصوص سواء كانت قرآنية أو حديثية : فما يعارض مبادئهم من الآيات يؤولونه ، وما يعارضها من الأحاديث يردونه وينكرونها ،

(١) الرسالة ١٨٥ .

(٢) فضل الاعتزال ٧١ .

(٣) فضل الاعتزال ١٨٦ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٨٠ .

ولذلك كان موقفهم من الحديث كما يقول أحمد أمين : (موقف المتشكك في صحته وأحياناً موقف المنكر له لأنهم يحكون العقل في الحديث لا الحديث في العقل) (١) .

ولذلك نشهد استخفافاً بالحديث وجرأة على حملته بلغت بعمر بن عبيد الى القول حين ذكر له حديث الرسول ﷺ : (لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتة ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقنا) (٢) فتحكيمة للعقل جعله يعترض على الرسول ﷺ وعلى الله ، وكثيرون هم هؤلاء المجترئون على الله والرسول اعتماداً على ما تزينه لهم عقولهم والشيطان من أمثال (الخوارج والمعتزلة وضعفة أهل الرأي حتى انسل اكثرهم عن الدين ، وأتت فتاويهم ومذاهبهم مختلفة القوانين وذلك لأنهم اتبعوا السبل وعدلوا عن الطريق ، وبنوا أمرهم على غير أصل وثيق) (٣) أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) (٤) .

ولعزوف المعتزلة عن الحديث قابلهم أهل السنة والجماعة

(١) ضحى الإسلام ٨٥/٣ .

(٢) ميزان الاعتدال ٢٧٨/٣ .

(٣) الاماع ٧ .

(٤) سورة التوبة ١٠٩ .

بامتهانهم واحتقارهم مهما كان جاههم ومنصبهم في الدولة ، فهذا
المعتصم الخليفة العباسي يلتفت الى أحمد بن حنبل ويقول له :
(كلم ابن أبي دواد^(١) فأعرض عنه أحمد بوجهه وقال : كيف
أكلتم من لم أره على باب عالم قط ؟) يريد عالم الحديث .

وقد بلغ بالمعتزلة عداؤهم للحديث أن ردوا نصوصاً كثيرة
صحيحة : فقد ردوا حديث الشفاعة^(٢) وحديث انشقاق
القمر^(٣) كما سنبين ذلك بعد حين وردوا حديث « جف القلم بما
أنت لاق^(٤) » ، كما رد النظام حديث « السعيد من سعد في
بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه »^(٥) ذلك أن هذين
الحديثين يتعارضان مع ما يؤمنان به من نفي القدر وهما حديثان
خرجهما البخاري في الجامع الصحيح^(٦) .

ورد القاضي عبد الجبار حديث الرسول ﷺ : اذا قاتل
« أحدكم أخاه ، فليجتنب الوجه » ، فان الله خلق آدم على

(١) الاماع ٢٨ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ٢٠٣ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ - الفرق بين الفرق ٣١٩ .

(٤) البخاري - فتح الباري ٢٩٣/١٤ - أنظر فضل الاعتزال

٩٥/٩٤ .

(٥) تأويل مختلف الحديث ٢١ .

(٦) أنظر فتح الباري ٢٨٢/١٤ ، ٢٩٣ .

صورته^(١) ، وقال ان مثل (هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها اذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة)^(٢) .

والعجيب هنا هو ميلهم الى الانكار ونكوصهم عن التأويل ذلك أن بعض الأحاديث مثلها مثل بعض الآيات المتشابهة التي تحتاج الى فهم عميق ، يوفق بين ما يبدو من الاختلاف أو التعارض بينها وبين العقل .

وقد تولى أهل السنة درس هذا الحديث الذي رده القاضي عبد الجبار فقالوا: واختلف الى ماذا يعود الضمير في (صورته):

١ - فقيل: الى آدم : أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن اهبط وإلى أن مات دفعا لمن توهم أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى ، - أو ابتداء خلقه . كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة الى حالة .

وقيل للرد على الدهرية انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا تكون نطفة انسان الا من انسان ولا أول لذلك ، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة .

(١) اخرج البخاري أنظر فتح الباري ٢٣٨/١٣ ومسلم ٤ / ٢٠١٧ ،

٢١٨٣ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥١ .

وقيل للرد على الطبايعيين الزاعمين أن الانسان قد يكون
من فعل الطبع وتأثيره ...

٢ - وقيل : (الضمير لله ... والمعنى أن الله خلقه على صفته
من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وان كانت صفات
الله تعالى لا يشبهها شيء) (١) .

هكذا أعمل أهل السنة في مثل هذه الأحاديث المختلفة
والمشكلة ، التأويل المتزن المنطقي ولم يجرؤوا على ردها ، لأنها
أحاديث صحيحة ثابتة بينما نكص المعتزلة عن أعمال العقل ،
وهم من قدم العقل وكان العقل عندهم حكر على التشكيك في
الشرع ونصوصه ورجاله .

هـ - كذبهم في الحديث :

ثبت لنا أن المعتزلة يعتبرون العمل شرط صحة لثبوت
الايان الا أن الكثيرين من أعلامهم اشتهروا بالتهاون في أداء
الفروض وقلة التدين وعدم التورع عن ارتكاب بعض المحرمات
ويتضح لنا ذلك عند النظام وثمامة بن أشرس وغيرها .

كما أن بعض زعمائهم لا يترددون عن الكذب في الحديث :
جاء في مقدمة صحيح مسلم : كان عمرو بن عبيد يكذب في

(١) فتح الباري ١٣/٢٣٨ - ٢٣٩ .

الحديث^(١) . ومن أمثلة أكاذيبه ما نسبته للحسن البصري حول السكران بالنبيذ من أنه لا يجلد . وسئل أيوب السخيتاني عن صحة ذلك فقال : (كذب ، أنا سمعت الحسن يقول : يجلد السكران من النبيذ)^(٢) .

ومن أمثلة أكاذيبه أيضاً ما نسبته للحسن كذلك من روايته عن رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » وقد كذبه أيوب . ولا ريب أن هذا الحديث ظاهر الوضع .

وكثيرة هي المسائل التي ينسب أحكامها إلى الحسن ، وهي على الحقيقة من رأيه هو^(٣) .

ولتأييد مذهبه الاعتزالي فان عمرو بن عبيد كثيراً ما يورد الحديث دون بيان تأويله ، من ذلك ما رواه عن الرسول ﷺ من قوله : (من حمل علينا السلاح فليس منا) وقد سئل عن ذلك عوف بن أبي حميلة فقال : (كذب والله عمرو ولكنه أراد أن يحوزها إلى قوله الحديث) . بمعنى أن عمراً أورد هذا الحديث لتأييد ما يذهب إليه المعتزلة من تفسيق مرتكب الكبيرة وتخليده في النار ولما كان مستل السيف على أخيه

(١) مقدمة صحيح مسلم ٢٢/١ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٣ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٣ .

المسلم مرتكباً لكبيرة فهو ليس من أمة الاسلام وبالتالي فهو
مخلد في النار^(١) .

ولهذا نجد العلماء يضعفون عمراً ويردون أحاديثه من ذلك
أن الفلاس قال : (عمرو متروك صاحب بدعة)^(٢) . بل فإن
الناس كانوا يتحاشون حتى مجالسته لاغراقه في الابتداع رغم ما
يشاع عنه من ورع !!

وإذا جوز النظام الكذب على المكروه حيث قال : (إذا لم
يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ويكون
وزره موضوعاً عنه)^(٣) فإن أكثر المعتزلة بما فيهم النظام لا
يتورعون عن الكذب لا للاكراه ولكن لتأييد ما يذهبون اليه
من آراء متمسفة كما رأينا بالنسبة لمعمر بن عبيد ، وكما يروي
عن القاضي عبد الجبار الذي يروي عن ابن عباس قول الرسول
ﷺ (خمس لا يعذر بجهلن أحد :

١ - معرفة الله تعالى ، أن يعرفه ولا يشبهه به شيئاً .

٢ - والحب في الله .

٣ - والبغض في الله .

(١) أنظر صحيح مسلم ٢٢/١ - انظر الحاشية رقم ٤٣ .

(٢) ميزان الاعتدال ٢٧٥/٣ .

(٣) ملل الشريستانى ٥١/١ .

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ - اجتناب الظلمة ^(١) .

وهذا الحديث ينكره الرواة ، وانما تمسك به المعتزلة
ليثبتوا به وجوب معرفة الله بالدليل ^(٢) .

فالحديث الشريف لم يسلم من المعتزلة حيث جرّحوا رواته
من الصحابة ، وأنكروا المتواتر منه وردوا الأحاد وأنكروا
وشكوا في الكثير من الأحاديث وأخيراً كذبوا في الحديث
لتقوية بدعتهم ، فهم وان لم يكثرثوا بالحديث الا أنهم يلجأون
اليه ، وان اضطرهم ذلك الى الوضع حين يرومون تأييد
مذهبهم .

واذا كان هذا موقفهم من الحديث فما هو موقفهم من
الاجماع والقياس ؟

موقفهم من الاجماع والقياس :

يعتبر الاجماع والقياس من المصادر الأساسية للتشريع
الاسلامي ^(٣) بعد القرآن ذلك أن شريعة السماء انما تستمد

-
- (١) فضل الاعتزال ١٥٠ .
(٢) فضل الاعتزال هامش رقم ٥٥ .
(٣) انظر بحثاً قيمياً « بالعربي » عدد ١٥٠ ص ٢١ .

شرعيتها وأحكامها من الله تعالى ، إما بطريق مباشرة وهي القرآن أو غير مباشرة وهي سنة الرسول المقبولة : صحيحة وحسنة ، ثم الاجماع والقياس اللذان يستندان الى روح القرآن والسنة .

وقد عرف العلماء القياس بأنه (إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لاشتراكها في علة الحكم^(١)) أو هو الحكم للنظير بحكم نظيره اذا كان في معناه والحكم للفرع بحكم أصله اذا قامت فيه العلة التي من أجلها وقع الحكم^(٢) .

والقياس مأخوذ من أكثر من آية في القرآن الكريم (لعله الذين يستنبطونه منهم)^(٣) إذ الاستنباط هو الاستخراج وهو بالقياس لأن النص ظاهر^(٤) ، وكذلك مأخوذ من قياس الرسول ﷺ في أكثر من حكم ، وقد عقد الامام البخاري في جامعه الصحيح باباً ترجم له بقوله : (باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين) ، وقد بين النبي ﷺ حكمها ليفهم السائل^(٥) أورد فيه

-
- (١) تاريخ المذاهب الإسلامية ١٥٤/٢ .
 - (٢) جامع بيان العلم وفضله ٩٢/٢ .
 - (٣) سورة النساء ٨٣ .
 - (٤) فتح الباري ٦٢/١٧ - ٦٣ .
 - (٥) فتح الباري ٥٩/١٧ - معنى : أصل مبين أي كان غامضاً ثم بيّن بمعلوم .

عدداً من الأحاديث التي تثبت قياس الرسول ﷺ الصريح .

أما الاجماع : فهو اجماع علماء الأمة الاسلامية على أمر ما فيصبح بذلك حكماً شرعياً والاجماع مأخوذ من قول الله تعالى : « ويتبع غير سبيل المؤمنين »^(١) وقول الرسول ﷺ : لا تجتمع أمتي على ضلالة^(٢) .

والعمل بالقياس معلوم عند علماء الأمة وقد ساروا عليه قديماً وحديثاً حتى حدث ابراهيم النظام ، وقوم من المعتزلة سلكوا طريقه في نفي القياس^(٣) ... وخالفوا ما مضى عليه السلف ... واتبعهم من أهل السنة على نفي القياس في الأحكام داود بن علي^(٤) بن خلف الاصبهاني الظاهري (ت ٢٧٠ هـ) .

أما النظام فقد رد حجية الاجماع والقياس معاً ذلك أن الحجة عنده انما تنحصر في قول الامام المعصوم تأسيساً بما يذهب اليه بعض الشيعة الذين جعلوا الدين طاعة رجل واحد وهو امامهم^(٥) .

(١) سورة النساء ١١٥ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ٣٢/٢ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٣٢ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

٢٠٦ .

(٤) جاء في شجرة النور الزكية لخولف : ان (داود الاصبهاني) .. طرح القياس

(٢٧/١) .

(٥) ملل الشهرستاني ١٤٧/١ ، ١٥٤ ، ١٨٠ .

وقد تصدى جمع من المعتزلة أنفسهم للرد على النظام من أمثال بشر بن المعتز شيخ البغداديين ورئيسهم ، وأبي الهذيل العلاف وهما من رؤساء المعتزلة وأهل الكلام وكانا من أشد الناس نصرة للقياس واجتهاد الرأي في الأحكام ، وقد قعما أبا الهذيل وأصحابه (١) .

كما خالفه بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٨ هـ) وهو فقيه معتزلي عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة (٢) والقول بخلق القرآن ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف وكان من المفرقين في القياس الناصرين له الدائنين به (٣) وإن كان لا يرى الاجماع كما سئى بعد حين .

وإذا انقسم المعتزلة حول القياس فإن موقفهم من الاجماع يكاد يكون متحداً حول رد الاجماع ، نعم ، نجد القاضي عبد الجبار يقر حجة الاجماع مستشهداً بقول الرسول ﷺ لا تجتمع أمتي على خطأ وعليكم بالجماعة (٤) ، ولئن شرح المراد بالجماعة وهو ما أجمعت عليه الأمة وثبت ذلك من اجماعها ، فإنه يجعل

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٧٧ - ٧٨ ونحوه في فتح الباري ٥٩/١٧ .

(٢) الاعلام للزركلي ٢ / ٢٨ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٧٨ .

(٤) فضل الاعتزال ١٣٨ .

هذا الاجماع لا يرتبط بالعدد بقدر ما يرتبط بطاعة الله والتزام
السمت السوي، فهو عنده ينطبق حق على الفرد الواحد ،
مستشهداً على رأيه هذا بما ينسبه لابن مسعود : (الجماعة ما
وافق طاعة الله وان كان رجلاً واحداً) (١) .

وعلى هذا الأساس يصف من يخالف المعتزلة من المشنعين
عليهم بأنهم (عند التحقيق لا يميزون ما يقولون) (٢) ويصف
أصحابه بأنهم هم المتمسكون بالسنة والجماعة دون هؤلاء المشنعين
عليهم (٣) .

وفي الحقيقة فان الواحد لا يمكن أن يكون اجماعاً، والا فان
المفاهيم تصبح مقلوبة منكوسة ولعل في اعتراف القاضي عبد
الجبار (ت ١٥٤ هـ) بالاجماع وهو من رجال القرن الرابع وأوائل
الخامس ، وقد شهد ما لحق المعتزلة من النكبات نتيجة غلوهم
ومخالفتهم الصريحة للكثير مما يدين به المسلمون ومما هو
وارد في الكتاب والسنة ، لعل في اعترافه بحجية الاجماع تخفيفاً
عن المعتزلة بعض أوزارهم ، إلا أن التوفيق جانبه لما عرفه ذلك
التعريف المتجاني حتى مع المعنى اللغوي للاجماع فضلاً عن معناه
الاصطلاحي .

أما النظام فانه أبطل صراحة حجية الاجماع وذهب الى

(١) و (٢) و (٣) فضل الاعتزال ١٨٦ .

تجويز اجماع الأمة في جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال (١) ويستدل على رأيه هذا بأن الأمة الاسلامية أجمعت (على أن النبي ﷺ بعث الى الناس كافة دون جميع الأنبياء ، وليس كذلك ، وكل نبي في الأرض بعثه الله تعالى فالى جميع الخلق بعثه لأن آيات الأنبياء - لشهرتها - تبلغ آفاق الأرض ، وعلى كل من بلغه ذلك أن يصدقه ويتبعه) (٢) .

وهذه الحجة تتنافى وقول الرسول ﷺ : بعثت الى الناس كافة وبعثت الى الأحمر والأسود ، وكان النبي يبعث الى قومه ، وقد رواه البخاري في كتابي التيمم (٣) والصلاة (٤) والنسائي في كتاب الغسل (٥) والدارمي في كتاب الصلاة (٦) .

وقد خالف النظام اجماع الأمة على وجوب الوضوء من النوم ، وابتدع القول بأن النوم لا ينقض الوضوء وعلل مخالفته هذه بقوله :

-
- (١) الفرق بين الفرق ١٤٣ - ٣١٩ - ٣٢٨ - تأويل مختلف الحديث ١٨ - السنة ومكانتها في التشريع ٢٠٣ .
(٢) تأويل مختلف الحديث ١٨ .
(٣) فتح الباري ١/٤٥٣ - ٤٥٥ .
(٤) فتح الباري ٢/٧٩ .
(٥) النسائي ١/١٧٢ .
(٦) الدارمي ١/٢٦٣ .

(وانما أجمع الناس على الوضوء من نوم الضجعة لأنهم كانوا يرون أوائلهم اذا قاموا بالغداة من نوم الليل تطهروا ، لأن عادات الناس الغائط والبول مع الصبح ، ولأن الرجل يستيقظ وبعينه رمص وبفيه خلوف ، وهو متهبج الوجه ، فيتطهر لِلْحَدِيثِ وَالنَّشْرَةِ (١) لَا لِلنُّوْمِ (٢) .

والسوم خلافاً لما يذهب اليه النظام ينقض الوضوء سيما اذا لم يكن نعسة أو خفقة خفيفة ، وقد عقد البخاري في جامعه باباً ترجم له بقوله : باب الوضوء من النوم (٣) أورد فيه أحاديث كثيرة تثبت تلك الترجمة .

وخالف النظام اجماع الأمة أيضاً بقوله : (ان الطلاق لا يقع بشيء من الكنايات كقول الرجل لامرأته : أنت خلية أو برية أو حبلك على غاربك أو البتة أو إلحقي بأهلك أو اعتدي أو نحوها من كنايات الطلاق عند الفقهاء سواء نوى بها الطلاق أو لم ينوه) (٤) .

ذلك أن ما ذهب اليه المسلمون اعتبار النية . وقد عقد

(١) النشر : الريح الطيبة أو أعم أو ريح فم المرأة واعطافها بعد النوم (القاموس ١٤٧/٢) .

(٢) تأويل مختلف الحديث ١٩ .

(٣) فتح الباري ٣٢٥/١ .

(٤) تأويل مختلف الحديث ١٩ - الفرق بين الفرق ١٤٥ - ١٤٦ .

البخاري لهذا المعنى باباً ترجم له بقوله: (باب اذا قال فارقتك ،
أو سرحتك أو الخلية أو البرية أو ما عني به الطلاق ، فهو على
نيتة (١) .

ومن لطيف ما يروى عن بشر بن غياث المريسي المعتزلي في
رد الاجماع أنه سأل الامام الشافعي في حضرة هارون الرشيد :
(ادعيت الاجماع ، فهل تعرف شيئاً أجمع الناس عليه ؟) .

قال الشافعي : نعم أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين
فمن خالفه قتل (٢) .

فالاجماع حقيقة تستند الى الكتاب والسنة لا يمكن انكارها ،
ولا يمكن فهمه الا بالشكل السوي الذي فهمه به السلف الصالح .

(١) صحيح البخاري كتاب الطلاق - انظر فتح الباري ١١ / ٢٨٦ .

(٢) مناقب الشافعي ١ / ٤٠١ .



صُورٌ مِنْ انْحِرَافَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ عَنِ السُّنَّةِ

ان موقف المعتزلة من صحابة الرسول ﷺ المجافي لما قررته السنة وبيّنه القرآن العزيز من وجوب احترامهم واكبارهم وان كذبهم في الأحاديث المنافي مع وعيد الرسول للكذابين عليه وهو القائل (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١) وهو حديث متواتر يقول عنه ابن الجوزي قد رواه من الصحابة ثمانية وتسعون صحابياً وان انكارهم أو تشكيكهم في بعض الأحاديث ، وإبطالهم قبول المتواتر والآحاد ، هذه المواقف جميعها تعتبر انحرافاً عن السنة ومجافاة للسلوك الذي سنَّ إِتْبَاعُهُ الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ... وقد أوردت من الأدلة ما يثبت هذا الانحراف عن الهدى النبوي .

وفي هذا الفصل نضيف عدداً آخر من المواقف والآراء التي آمن بها المعتزلة ووقفوا ينفحون عنها ويمضون بها بأدلتهم العقلية :

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١/٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

أ - وجوب معرفة الله بالدليل :

لقد كان الايمان بالله في عهد الرسول والصحابة بسيطاً غير معقد ، حتى اذا ما نشأت فرقة المعتزلة أدخلت مباحث غريبة عن الاسلام متأثرة بالمذهب والمقولات الفلسفية ، وكان البحث في معرفة الله بالدليل وايقاف صحة الايمان على ذلك من بين تلك الموضوعات التي أَحَدَّثَهَا المعتزلة ، وبذلك فرضوا على الفرق الأخرى النظر فيها ، وقد ورثها عنهم الأشاعرة رغم انفصالهم عن المعتزلة ، فقد جاء عن أبي جعفر السبائي - وهو من كبار الأشاعرة - قوله : (ان هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب) ^(١) أي المذهب الأشعري .

ولشدة تعلق المعتزلة بهذا المبحث فانهم جعلوه منضوياً تحت مفهوم الايمان فهذا أبو شمر يزعم (أن المعرفة بالله وبما جاء من عنده ... ومعرفة التوحيد والعدل ، عدل الله سبحانه ، ونفي التشبيه عنه ، كل ذلك ايمان والشاك فيه كافر) ^(٢) .

وشغفهم هذا دفع بالقاضي عبد الجبار الى أن يستشهد بحديث ينكره الرواة كما يقول فؤاد السيد ^(٣) ليبر ما ذهب

(١) فتح الباري ٧٧/١ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١٧١/٢ .

(٣) انظر فضل الاعتزال ١٥٠ هامش رقم ٥٥ .

اليه المعتزلة من وجوب معرفة الله : (عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : خمس لا يعذر مجملهن أحد ، معرفة الله تعالى أن يعرفه ولا يشبهه به شيئاً) (١) .

وإذا كانت معرفة الله وصفاته مقررة في الإسلام ، فإن تعقيد هذه المعرفة ووجوب تحصيل الدليل عليها هو البدعة المنافية مع السنة الصحيحة .

فهذا أبو هاشم (عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ابن أبي علي الجبائي) من المعتزلة ذهب الى أن (من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر) لأن ضد المعرفة النكرة ، والنكرة كفر (٢) .

كما أن ابراهيم بن سيار النظام ذهب الى أن المتمكن من المعرفة ان كان عاقلاً (يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال) (٣) .

نعم أن التقليد مذموم . لذلك نجد بعض أهل السنة يوجب الاستدلال هو أيضاً الا أنه لم يرد به (التعمق في طرق المتكلمين) بل اكتفى بما لا يخلو عنه من نشأ بين المسلمين من الاستدلال

(١) فضل الاعتزال ١٥٠

(٢) فتح الباري ١١٨/١٧ .

(٣) ملل الشريستاني ٥٨/١ .

بالمصنوع على الصانع ، وغايته ، أنه يحصل في الذهن مقدمات
ضرورية تتألف تألفاً صحيحاً وتنتج العلم ، لكنه لو سئل :
كيف حصل له ذلك ما اهتدى للتعبير عنه (١) .

ويقول ابن حجر لا حجة لمن اشترط النظر (لأن من لم
يشترط النظر لم ينكر ، أصل النظر ، وإنما أنكر توقف الايمان
على وجود النظر بالطرق الكلامية ، اذ لا يلزم من الترغيب في
النظر جعله شرطاً) (٢) .

وإذا كان في النظر بالنسبة للجواهر مشقة لم يوجبها عليهم
الشرع ، فان فيه بالنسبة للعلماء والمختصين (فائدة معتبرة اذ لا
يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها) (٣) .

والذي يثبت مخالفة ما ذهب اليه المعتزلة من وجوب معرفة
الله بالدليل ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر (أن رسول الله
ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا
الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم

(١) فتح الباري ١٧/١١٨ .

(٢) فتح الباري ١٧/١٢٢ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٨٣٨ .

على الله (١) .

ففي هذا الحديث كما يقول ابن حجر (دليل ... على
الاكتفاء في قبول الايمان بالاعتقاد الجازم خلافاً لمن أوجب تعلم
الأدلة) (٢) .

وجاء عن معاوية بن الحكم قوله : (أتيت رسول الله ﷺ
بجارية فقلت : يا رسول الله ، علي رقبة ، أفأعتقها ؟ فقال لها
رسول الله : اين الله ؟ فقالت : في السماء فقال : ومن أنا ؟ قالت :
أنت رسول الله . قال : فأعتقها) (٣) .

فهذه المعرفة الأولية الجملة بالله وبرسوله ثبت لها الاسلام
وأجاز رسول الله ﷺ عتقها .

وكتب الرسول ﷺ الى هرقل وكسرى وغيرهما من
الملوك يدعوهم الى التوحيد ورسائله كلها تثبت أنه ﷺ (لم يزد
في دعائه ... على أن يؤمنوا بالله ويصدقوه فيما جاء به عنه ،
فمن فعل ذلك قبل منه سواء كان ادعائه عن تقدم نظر
أم لا) (٤) .

-
- (١) البخاري : كتاب الايمان - باب فان تابوا ... انظر فتح الباري
٨٢/١ ، ٨٣ ، مسلم ٥٣/١ .
(٢) فتح الباري ٨٣/١ .
(٣) الرسالة ٤٤/٤٣ .
(٤) فتح الباري ١٢١/١٧ .

ب - انكارهم لرؤية الله يوم القيامة :

لقد سبق لنا ان بينا أن غلو المعتزلة في فهمهم لعقيدة التوحيد تفرع عنه أ - ايمانهم بنفي الصفات ب - نفي الرؤية . ج - القول بخلق القرآن . نفي الصفات فقالوا : بخلق القرآن اعتقاداً منهم أن ثبوت قدم أي صفة بما فيها كلامه تعالى : يثبت مع الله قديماً غيره ، وهذا عين الشرك في نظرهم ، ونفوا الرؤية لأنها تقتضي الجسمية وهي مما يتنزه الله عنه .

والمعتزلة أجمعوا على أن الله سبحانه ليس بجسم ولا عرض وأن شيئاً من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة . حتى أن بعضهم يكفر من يقول برؤيته (كما ترى المرثيات بالمقابلة أو المحاذاة أو في مكان حالاً فيه دون مكان) (١) .

لكنهم اختلفوا هل يرى الله بالقلوب؟

فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا ، بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر هشام الفوطي وعباد بن سليمان ذلك (٢) .

أما الخابطية (أصحاب أحمد بن خابط تـ ٢٣٢ هـ) والحديثية

(١) أنظر فضل الاعتزال ٦٣ - مقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٨ - ملل

الشهرستاني ٨١/١ - مقالات الإسلاميين ١ / ٣٢٩ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٣٨ .

(أصحاب الفضل الحديثي (ت ٢٥٧ هـ) فانهم آمنوا بالرؤية ولكنهم صرفوها الى رؤية العقل الأول العقل الفعال) (١) .
وفكرة العقل هذه فكرة يونانية آمن بها بعض الفلاسفة المسلمين وتسربت الى الفكر الاعتزالي .

والمعتزلة حين ينفون الرؤية يزعمون أن كل شيء يرى بالعين يجب أن يكون في مقابلة العين ، أي ينبغي أن يكون جسماً يحتل حيزاً ، بهذا ناظر أبو اسحاق النصيبيني رئيس معتزلة البصرة أبا بكر محمد بن الطيب الباقلافي (ت ٤٠٣ هـ) (٢) ، بل فان تعلقه الجسمية يركن اليها كل النفاة لرؤية الله .

يقول القرطبي : (اشترط النفاة في الرؤية شروطاً عقلية كالبنية المخصوصة ، والمقابلة وايصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خبط لهم وتحكم) (٣) .

والمعتزلة مناصرة منهم لرأيهم يردون كل الأحاديث النبوية التي تثبت الرؤية بدعوى أنها أحاديث آحاد (وانما يقبل خبر الواحد فيما طريقه العمل) (٤) ويحاولون في الوقت نفسه اختلاق

(١) ملل الشهرستاني ٦٣/١ .

(٢) اعجاز القرآن المقدمة للمحقق ٤٣ .

(٣) فتح الباري ١٧/١٩٥ .

(٤) فضل الاعتزال ١٥٨ .

أحاديث كثيرة تتساقق مع مذهبهم .

فهذا القاضي عبد الجبار يورد أثراً بصيغة التمريض ينسبه لابن عباس فيقول وروي أن نجدة الحروري^(١) سأل ابن عباس فقال : كيف معرفتك بربك ؟ فقال : (أعرفه بما عرفني به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس معروف بغير تشبيه^(٢) .

كما ينسب خبراً لعائشة يقول (انها سمعت بأن القوم يقولون : بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعري مما قلتموه ودفعت ذلك بقوله تعالى : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار^(٣)) .

أما الآيات القرآنية التي تثبت رؤية الله فانهم يقفون منها موقف التأويل والتخريج المتعسف :

فهذا الزمخشري يفسر قوله تعالى : «وجه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة»^(٤) بأن المراد بناظرة الثانية (بالظاء) منتظرة فالؤمنون وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ينتظرون ذلك اليوم . ويبين أن تقديم المفعول به (الى ربها) يفيد

(١) وهو رأس الحرورية النجدات قتله اصحابه سنة ٦٩ هـ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥٠ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٩ .

(٤) سورة القيامة ٢٣ .

الاختصاص بمعنى أن هذه الوجوه (تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره ... ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ... فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظوراً اليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص) (١) .

ويستنجد بالعربية ليؤيد تأويله فيقول (والذي يصبح معه أن يكون من قول الناس : أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

(وإذا نظرت إليك من ملك . . . والبحر دونك زدني نعماً) (٢)
وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقايلهم تقول: عيني نويظرة إلى الله وإليكم .

والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه (٣) .

(١) الكشاف ١٩٢/٤ .

(٢) والمعنى : اذا رجوت عطاءك وأنت من الملوك والح ، ان البحر أقل جوداً منك زدني نعماً ، وهذا من قول الناس : أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي ، يريد معنى التوقع والدعاء شرح شواهد الكشاف - انظر الكشاف ٥٤٤/٤ .

(٣) الكشاف ١٩٢/٤ .

وكل آية يمكن أن يستشعر منها معنى رؤية الله ، يؤولها
الزخشري بشكل يدفع الرؤية ، فيشرح الفوز في قوله تعالى :
« فمن زُحِزِح عن النار وأُدْخِل الجنة فقد فاز »^(١) بقوله (وأبي
فوز أعظم من دخول الجنة) ويعلق سراج الدين البلقيني على ذلك
بقوله (أشار الى عدم الرؤية)^(٢) .

وهو عين التأويل الذي ينقله القاضي عبد الجبار عن أبي علي
الجبائي الذي يصور معنى التطور الذي طرأ على موقف مثبتة
الرؤية . ذلك أن أوائلهم كانوا (يقولون بالرؤية مع التشبيه .
ثم من بعد لما عرفوا فساد القول بالتشبيه ثبتوا على القول بالرؤية
للألف والعادة ، واحتجوا بقوله « وجوه يومئذ ناظرة الى ربها
ناظرة »^(٣) وهذا لا حجة لهم فيه لأن النظر ليس هو الرؤية ،
فتحمل الآية على النظر الى الثواب أو الانتظار . كما روي عن
كثير من الصحابة)^(٤) .

فهو ينسب عقيدتهم الى الألف والعادة لا النظر والفهم ، ثم
يؤول مستندهم من الآية بنفس تأويل الزخشري الذي تناول أحمد
ابن المنير الرد عنه في كتابه (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٢) الاتقان ٢/١٩٠ .

(٣) سورة القيامة ٢٢ .

(٤) فضل الاعتزال ١٥٨ .

الاعتزال) فقال (ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن
ويطيل في حجب الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق . فلما
فغرت فاه صنع في مصامتها بالاستدلال ... وبما يعلم أن المتع
برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه
غيره) (١) ويقول ابن بطال (إن تأويلهم لناظرة بمنظرة خطأ
لأنه لا يتعدى إلى (٢) ويتحدث ابن كثير عن تأويل حرف
الجر «إلى» في قوله تعالى : «إلى ربها ناظرة» وفسره بأنه مفرد
الآلاء وهي النعم فيقول : فقد أبعده هذا القائل النجعة وأبطل
فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى : «كلا إنهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون» (٣) .

قال الشافعي رحمه الله لما سئل عن هذه الآية : لما حجب الله
قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا . وسأله الربيع بن سليمان :
أوقدين بهذا يا سيدي ؟ ، فقال (والله لو لم يوقن محمد بن ادريس
أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا) (٤) .

وبالإضافة إلى الأدلة النقلية الصحيحة التي أوردها أهل
السنة فإنهم تناولوا شبهة المعتزلة العقلية بالرد عليها عقلياً ولغوياً

(١) مطبوع على هامش الكشاف انظر ١٩٢/٤ .

(٢) فتح الباري ١٧/١٩٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٨/٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٤) مناقب الشافعي ١/٤١٩ .

فهذا ابن حجر يورد ما عدده البيهقي من الأوجه اللغوية التي تفيدها عبارة ناظرة في كلام العرب منتهياً إلى أن أولها بالقبول في الآية هو نظر الرؤية (١) .

وهذا أبو بكر الباقلاني يرد على اعتراض أبي اسحاق النصيبيني ويبين أن الرؤية لا تتم بالعين لما يستلزم ذلك من المكان (وإنما يرى بالادراك الذي في العين، ولو كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن ترى كل عين قائمة، وقد علمنا أن الأجر عينه قائمة ولا يرى شيئاً...) ويبين أن اثبات رؤيته ليس فيه قلب لحقيقة ولا اثبات لما يتنافى مع تنزيه الله بل فلما كان الله أكمل الموجودات وجب أن يكون مرئياً (والشيء إنما يرى لأنه موجود) (٢) .

وقريب من هذا المعنى يقرره ابن تيمية فهو يقول : (فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى... والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجوداً، وأبعد الأشياء عن العدم، فهو أحق بأن يرى، وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته) (٣) .

(١) فتح الباري ١٧/١٩٤ .

(٢) اعجاز القرآن - المقدمة السيد صقر ٢٣ .

(٣) منهاج السنة ٢/٢٥٥ .

أما الأحاديث الصحيحة التي تثبت انحراف المعتزلة عنها ،
فهي كثيرة وقد عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً ترجم
له بقوله باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناظرة الى ربها
ناظرة » (١) وقد أورد فيه عدداً من آثار الرسول ﷺ التي تثبت
الرؤية .

كما عقد مسلم باباً في كتاب الايمان لهذا الغرض ترجم له
النووي بقوله : (باب معرفة طريق الرؤية) (٢) سرد فيه عدداً
من الأخبار تُثبِتُ الرؤية منها : - جاء عن جرير بن عبد الله قوله :
قال النبي ﷺ : انكم سترون ربكم عياناً وقد أوردته البخاري
عن جرير في كتابي مواقيت الصلاة (٣) والتوحيد (٤) ، وأورد
نحوه عن أبي سعيد الخدري في كتاب التفسير (٥) .

كما خرج نحوه مسلم عن أبي سعيد الخدري في كتاب الايمان (٦)
وعن أبي هريرة في كتاب الزهد والرقائق (٧) .

(١) البخاري - انظر الفتح ١٧/١٩٣ .

(٢) مسلم الايمان - ١/١٦٧ .

(٣) البخاري - انظر الفتح ٢/١٧٢ - ٢/١٩٢ .

(٤) البخاري - فتح الباري ١٧/١٩٦ ، الأحاديث ٢١-٣-٤-٥ .

(٥) البخاري - الفتح ٩/٣١٨ .

(٦) مسلم ١/١٦٣ ، ١٦٧ .

(٧) مسلم ٤/٢٢٧٩ .

وخرجه أيضاً ابن ماجه عن جرير في المقدمة (١) وعن أبي هريرة في كتاب الزهد (٢) كما أورد نحوه أبو داود في كتاب السنة عن أبي هريرة وخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة (٣) عن أبي هريرة .

فرؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة لا يمكن دفعها وكل محاولة لمنعها إنما هي إبطال متعمد للحديث الصحيح ، وتأويل متعسف لصريح القرآن العزيز .

ج - انكارهم لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

الشفاعة التي أثبتها أهل السنة أربعة أنواع :

١ - الخلاص من هول الموقف ، وهي خاصة بمحمد رسول الله ﷺ .

٢ - الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب .

٣ - الشفاعة في رفع الدرجات .

(١) سنن ابن ماجه ١/٦٣ .

(٢) المصدر السابق ٢/١٤٥١ .

(٣) سنن الترمذي ٤/٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩ وأورده ابن خلد الرامهرمزي في

المحدث الفاصل ص ٥٢٢ - فقرة ٦٥٨ - وأورد ابن كثير أحاديث الرؤية

في تفسيره ٨٠/٣٠٤-٣٠٥ .

٤ - الشفاعة في اخراج قوم من النار عصاة أدخلوها بذنوبهم .

والمعتزلة ولئن اشترطوا في النوع الثاني من الشفاعة أن تكون خاصة بمن لا تبعة عليه فانهم قبلوا النوعين الأول والثالث ، بينما ردوا النوع الرابع^(١) ، لأنهم ينكرون شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من الأمة الاسلامية^(٢) مستندين الى المتشابه من قوله تعالى : «فما تنفعهم شفاعة الشافعين»^(٣) ولأنها تخالف مبدأهم في الوعد والوعيد .

وقد شد عنهم أبو هاشم الجبائي حيث أقر الشفاعة مع كون الشفيع سائطاً ، وقال : (قد تصح بلا توبة)^(٤) .

أما القاضي عبد الجبار فيقر شفاعة الرسول ولكنه يجعلها خاصة بأهل الثواب دون أهل العقاب ولأولياء الله دون أعدائه وتمثل شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن يزيدهم من الفضل والتعظيم في الجنة هذا هو مفهوم الشفاعة التي يثبتها ويخطئ من ينكرها خطأ عظيماً^(٥) مستدلاً على ما ذهب اليه بقوله تعالى

(١) فتح الباري ١٧/٢٣٧ .

(٢) مقالات الإسلاميين ٢/١٦٦ .

(٣) سورة المدثر ٤٨ .

(٤) فضل الاعتزال ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) فضل الاعتزال ٢٠٧ .

« ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع »^(١) ، فأهل النار عنده يستحقون (اللعن والغضب والسخط فكيف يجوز للرسول ﷺ أن يشفع لهم ، ومن حق الشافع أن يكون محباً لمن يشفع له راضياً عنه ، وهذا يوجب ان كان عليه السلام يشفع لهم - أن يكون راضياً عن سخط عليه ولعنه وذلك لا يصح)^(٢) .

فهم يصدرون في انكارهم للشفاعة عن ايمانهم بالوعد والوعيد ، وعيد الله للمذنبين ، وَوَعْدُهُ لِلاتِّقِيَاءِ الْمُطِيعِينَ ، وقد سبقت كلمة الله بذلك ، ولا مبدل لكلماته ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا عن طاعة وتوبة استحق الثواب واذا خرج عن كبيرة ولم يثب خلد في النار^(٣) ، اذ لا يصح خروجهم منها لأنهم من أهل العقاب ، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب لأن ذلك كالتضاد^(٤) .

وهم وان خلدوهم في النار إلا أنهم جعلوا عذابهم أخف من عذاب الكافرين .

وبوقفهم هذا يكونون قد أنكروا أمراً أثبت بالسنة

(١) سورة غافر ١٨ .

(٢) فضل الاعتزال ٢٠٨ .

(٣) المعتزلة لزهدى جار الله ٥١ - ٥٢ .

(٤) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

الصحيحة ، جاء في سنن أبي داود عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي (١) وبناء على ذلك فقد آمن أهل السنة بأن الله يخرج قوماً من النار بعد أن يمتحنوا بشفاعته الرسول ﷺ (٢) .

وقد يعترض بعضهم بأن الشفاعة ليست واردة في القرآن ، وهذا لا يمنع ثبوتها ، وكثيرة هي المسائل والأحكام التي اختصت بذكرها السنة ، وقد قيل يوماً لعمران بن حصين وهو جالس في المسجد : يا أبا النجيد انكم لتحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ؟ فغضب عمران وقال لسائله : قرأت القرآن ؟ قال نعم . قال : فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً ... ؟ الى أن انتهى الى ذكر الشفاعة (٣) مذكراً لهم بقوله تعالى : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٤) .

وقد استنبط العديد من الصحابة شفاعته الرسول ﷺ يوم القيامة من القرآن نفسه ، فهذا علي بن أبي طالب (رض) يقول :

-
- (١) وخرج نحوه عن عمران بن حصين ٥٣٧/٢ وخرجه الترمذي ٤/٦٢٢ - ابن ماجه ١٤٤١/٢ - مسلم ١٩٥/١ - البخاري الفتح ١٩٥/٨ - النسائي ١٧٢/١ - الدارمي ٢٣٤/٢ .
(٢) موعظة المؤمنين ١٠/١ .
(٣) دلائل النبوة ١/٣٥ - ٣٧ .
(٤) سورة الحشر ٧ .

(انكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن : يا عبادي الذين أسرفوا... الآية لكننا أهل البيت نقول : ان أرجى آية في كتاب الله : ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة) (١) .

د - انكارهم لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

يعود انكار بعض المعتزلة لمعجزات رسولنا محمد ﷺ ومعجزات الرسل السابقين الى تصورهم للنبوة ، فقد اختلفوا فيما بينهم : هل هي جزاء أو ثواب ؟ أم لا ؟ فقال بعضهم : هي ثواب وجزاء على عمل صالح عمله النبي ﷺ فاستحق أن يجزيه الله بالنبوة .

وقال آخرون ليست يجزاء ولا ثواب (٢) ومن قال بأنها جزاء على عمل عبّاد بن سليمان ، ومن قال بأنها تكون ابتداء أبو علي الجبائي (٣) .

ونفي الاصطفاء عن النبوة رأي قديم أبداه بعض الفلاسفة حيث جعلوا النبوة مرتبة من المعرفة والسمو الروحي يبلغها المهتدون الذين يتدرجون في معاناة ورياضة نفسية خاصة .

(١) الاتقان ١٦١/٢ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢٩٧/١ ، ٣٢٦/٢ .

(٣) مقالات الاسلاميين ١٣٧/٢ .

وبذلك افتقدت النبوة جلالها وقدسيتها ، وصارت لدى هؤلاء الفلاسفة ومن تأثر بهم من المعتزلة من الموضوعات التي يتناولونها بعيداً عما تستحقه من الاحترام . فهذا واصل بن عطاء يخطب فيجيد فيقول عمرو بن عبيد وكان شاهداً الجمع : « ترون لو أن ملكاً من الملائكة أو نبياً من الأنبياء يزيد على هذا ، (١) ؟ »

بل بلغ بهم استهتارهم بمقام النبي ﷺ أن جوز عليه بعضهم تعدد ارتكاب المعاصي إلا أنها لا تكون إلا صفات (٢) .

وبناء على هذا فإن الكثير من المعتزلة يعتبرون الحجة قائمة على الناس بالمقل لا بالنبوة فحتى من لم يبلغه خبر الرسول فهو محجوج (٣) لتقصيره في أعمال عقله للوصول الى الحقيقة .

ومن المعتزلة من نفى أن تكون المعجزات دلائل صدق الرسول ﷺ في دعواه الرسالة ففلق البحر وقلب العصا حية ومحق السحر وانشقاق القمر والمشي على الماء وغيرها لا تدل في زعمهم على صدق الرسالة (٤) .

-
- (١) ميزان الاعتدال ٢٧٧/٣ .
 - (٢) ميزان الاعتدال ٢٩٧/١ .
 - (٣) المصدر السابق ٢٩٦/١ .
 - (٤) الفرق بين الفرق ١٦٢ .

والقرآن نفسه كما ذهب الى ذلك هشام الفوطي وعباد بن سليمان (لم يجعل علماً على النبي ﷺ وهو عرض من الأعراض لا يدل شيء منها على الله ولا على نبوة محمد ﷺ) (١) .

فهل نعجب بعد هذا اذا أنكر النظام (ما روي من معجزات نبينا ﷺ من انشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده ونبوع الماء بين أصابعه) (٢) ؟ فهو حين يتحدث عن رواية ابن مسعود لحديث الانشقاق يتناولها دون التزام لأي لون من ألوان الأدب ازاء الصحابة الذين قال عنهم الرسول ﷺ : لا تَسُبُّوا أصحابي فيقول :

(وهذا من الكذب الذي لا خفاء به لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه وانما يشقه ليكون آية للعالمين) : فكيف لم يعرف بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ولم يسلم عنده كافر ولم يحتج به مسلم على ملحد (٣) ؟

وفي الحقيقة فانه بانكاره للكثير من معجزات النبي ﷺ انما يرمي الى انكار نبوته (٤) سيما والنظام معجب بقول البراهمة

-
- (١) اعجاز القرآن للباقلاني - مقدمة سيد صقر ٨ .
 - (٢) الفرق بين الفرق ١٣٢ - السنة ومكانتها ٢٠٦ .
 - (٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ - الفرق بين الفرق ٣١٩ .
 - (٤) الفرق بين الفرق ١٣٢ .

بإبطال النبوات (ولم يحسر على اظهار هذا القول خوفاً من
السيف) (١) .

وقد تسرب هذا التشكيك في المعجزات الى المسيحيين
البيزنطيين، يتسمنونها لرد رسالة الرسول ﷺ، فهذا الامبراطور
باسيليوس الثاني (٢) يسأل أبا بكر الباقلااني في سفرته الى
بيزنطة : هذا الذي تدعونه من معجزات نبيكم : من انشقاق
القمر كيف هو عندكم ؟ .

ويتصدى الباقلااني للجواب : هو صحيح عندنا انشق القمر
على عهد رسول الله ﷺ حتى رأى الناس ذلك ، انما رآه
الحضور ومن اتفق نظره في تلك الحال ويقول الملك : وكيف لم
يره جميع الناس ؟

فيجيب الباقلااني : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعده
لشقوقه وحضوره ثم قاس له بالخسوف الذي لا يراه جميع أهل
الأرض، وانما يراه من كان في محاذاته ويختم بقوله: (فما أنكرت
من انشقاق القمر اذ كان في ناحية أن لا يراه الا أهل تلك
الناحية ، ومن تاهب للنظر له ، فأما من أعرض عنه ، أو كان

(١) الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) حكم من سنة ٣٦٥ هـ الى ٤١٦ هـ وهو ملك الروم بالقسطنطينية .

في الأمكنة التي لا يرى القمر منها فلا يراه (١) .

وهذا أسلوب يستخدم مع الكافرين بنبوة محمد ﷺ الذين لا يؤمنون بحديثه ، والا فقد ثبت حديث انشقاق القمر عن ابن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس .

جاء عن ابن مسعود قوله : (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا) (٢) .

وقد أورد محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على ترجمة باب انشقاق القمر بصحيح مسلم ما قاله القاضي عياض في هذا الموضوع وجاء فيه (انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة (رض) مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها ، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة مخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا انكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق لله تعالى ، يفعل فيه ما يشاء ، كما يقنيه ويكوره في آخر الأمر) (٣) .

وبلغت ببعض المعتزلة مناوأتهم للإسلام وللرسول ﷺ أن أنكروا إعجاز القرآن فقال النظام : ان نظم القرآن وحسن

(١) اعجاز القرآن للباقلاني - مقدمة سيد صقر ص ٣٠ .

(٢) مسلم ٢١٥٨/٤ وقد خرج الحديث البخاري والترمذي في مسنده .

(٣) مسلم ٢١٥٨/٤ هامش رقم ٣ .

تأليف كلماته ليس معجزة النبي ﷺ ولا دلالة فيه على صدقه في دعواه النبوة ذلك أن القرآن كتاب كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، ووجه الدلالة في هذا الكتاب على صدق الرسول ﷺ إنما هو ما فيه من الأخبار عن الغيوب .

فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فان العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف ولم يعارضه العرب لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به وهو ما عرف عندهم بالصرفة (١) .

وقال عيسى بن صبيح الملقب بالمردار (ت ٢٢٦ هـ) ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة (٢) .

ونفى هشام الفوطي وعباد بن سليمان أن يكون شيء من الأعراس دالاً على الله سبحانه أو على نبوة الرسول ﷺ ولما كانا يزعمان أن القرآن اعراض فهو ليس علماً للنبي ﷺ (٣) .

وذهب ابن الرأوندي الزنديقي في كتابه (الدامع) الى الطمن في نظم القرآن ومعانيه ، وارتطم في إثم القول : ان

(١) فضل الاعتزال ٧٠ - الفرق بين الفرق ١٤٣ - ملل الشهرستاني

٥٦/١ - مسلم ٥٧ ، اعجاز القرآن مقدمة صقر ٨٠٧ .

(٢) ملل الشهرستاني ٥٤/١ .

(٣) مقالات الإسلاميين ٢٩٦/١ .

في القرآن سفهاً وكذباً^(١) إلا أن هذه الآراء الغريبة كان قد تناولها العديد من رجال الاعتزال بالطمع والتجريح والرد عليها :

فتولى أبو الحسين الخياط وأبو علي الجبائي الرد على ابن الراوندي فنقضاً ما تورط فيه من الانحرافات في كتابه «الدامع» وتولى الجاحظ في كتابه «نظم القرآن» الرد على النظام في قوله بالصرقة^(٢) .

ومما رد به أبو سليمان الخطابي في كتابه اعجاز القرآن على دعوى الصرقة اذ دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهي قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(٣)) فأشار القرآن الى أمر طريقه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد والمعنى في الصرقة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها (٤) .

هـ - موقفهم من حد شارب الخمر والنبيذ :

لقد تمسك بعض المعتزلة بالرأي الشاذ حول حد الخمر القائل :

(١) و (٢) اعجاز القرآن للباقلاني المقدمة صقر ص ٨ .

(٣) سورة الامراء ٨٨ .

(٤) اعجاز القرآن مقدمة صقر ١٣ .

ان الرسول لم يفرض في الخمر حداً ، وأنه وبعض الصحابة انما ضربوا بالجريد والنعال والأردية وعزف هؤلاء المعتزلة عما أجمع عليه الصحابة من وجوب الحد في الخمر (١) بل وهاجموا الحد ، من ذلك أن جعفر بن مبشر زعم (أن اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ ، اذ المعتبر في الحدود : النص والتوقيف) (٢) .

والملاحظ أن النص والتوقيف متوفران ، فالاتفاق كامل بين الصحابة والعلماء على أن الرسول ﷺ جلد من شرب الخمر ولكن ثمة اختلاف حول عدد الجلدات (٣) .

وقد أطنب الفقهاء والمحدثون في الحديث عن الموضوع وسرد كل الآراء مها كانت متضاربة ومتطرفة ، وقد أورد ابن حجر خلاصة حول الموضوع قال فيها : وقد استقر الاجماع على ثبوت حد الخمر وان لا يقتل فيه ، واستمر الاختلاف في الاربعين والثمانين (٤) .

والملاحظ أن حد النبيذ بدوره ثمانون جلدة (٥) أي أنه مساو

(١) فيل الاوطار ١٦٩/٧ .

(٢) ملل الشهرستاني ٥٩/١ - الفرق بين الفرق ١٦٨ .

(٣) فتح الباري ١٦١/٧ .

(٤) فتح الباري ٨٠/١٥ .

(٥) فتح الباري ٧٥/١٥ .

لحد الخمر فقد قرر الفقهاء وجوب جلد من شرب خمراً أو نبيذاً مسكراً ثمانين سكر أو لم يسكر^(١) .

وخالف عمرو بن عبيد فنسب الى الحسن البصري أنه قال: ان السكران من النبيذ لا يجلد وقد أكذبه أيوب السختياني وقال : أنا سمعت الحسن يقول : يجلد^(٢) .

و - موقفهم من حد السارق :

ومن المواطن التي خالف فيها العديد من المعتزلة سنة الرسول ﷺ موقفهم من حد السرقة . فقد جعل القرآن الكريم قطع اليد جزاء وفاقاً للسرقة فقال جل من قائل : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله)^(٣) .

ثم جاءت السنة وحددت قيمة المسروق الذي يوجب القطع وبينت حاله كما بينت ما ينبغي القطع فيه ، ومن أين يقع القطع .

جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم^(٤) وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ قال : تقطع اليد في

(١) رسالة أبي زيد القيرواني ٤٤٠ .

(٢) مقدمة مسلم ٢٣/١ - ميزان الاعتدال ٢٧٦/٣ .

(٣) سورة المائدة ٣٨ .

(٤) الموطأ ٥١٩ .

ربع دينار فصاعداً (١) على أن يكون المسروق حرزاً والسارق مستفنياً عن السرقة .

كما سن الرسول أن لا قطع في ثمر ولا كثر (٢) ، وبين أن القطع انما يكون في اليد اليمنى ومن الرسغ .

وخالف الكثير من المعتزلة سنة الرسول ﷺ فهذا أبو الهذيل العلاف والجبائي يفسقان سارق الدرهم من حرز (٣) .

أما جعفر بن مبشر فيزعم أن من سرق حبة أو ما دونها فهو فاسق منخلع من الايمان مخلد في النار (٤) .

ويذهب النظام الى أن من غصب أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهماً لم يفسق بذلك حتى يكون ما سرقه أو غصبه وخان فيه مائتي درهم فصاعداً (٥) .

وبذلك هدموا الشرع وتحللوا من الأحكام وحكموا أهواءهم

(١) البخاري - فتح الباري ١٥/١٠٧ .

(٢) الرسالة ٤١ - الموطأ ٥٢٤ ، أنظر التخريج هناك .

(٣) مقالات الاسلاميين ١/٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٦٨ - ملل الشهرستاني ١/٥٩ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٤٤ - مقالات الإسلاميين ١/٣٣٤ - الملل

٥٨/١ .

فيا يأتون وما يدعون .

ز - تخليدهم صاحب الكبيرة في النار :

كنا رأينا أثناء حديثنا عن أصل المعتزلة الرابع الوعد والوعيد كيف قرروا أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ومخلد في النار يوم القيامة ما لم يتب ، ورأينا كيف أن مبدأهم ذلك مبني على إيمانهم بعدل الله ، هذا العدل الذي جعلهم غلوهم في تصويره ينفون معه الشفاعة لأنها في رأيهم تعطل تنفيذ وعده ووعيده ولا مبدل لكلماته تعالى :

على أننا قبل الخوض معهم في آرائهم هذه المنافية للسنة الصحيحة يحسن بنا أن نرى تعريفهم للكبائر والصغائر .

فقد (قال قائلون منهم : كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير^(١)) . وذهب جعفر بن مبشر إلى أبعد من ذلك فقد جعل ارتكاب أي لون من ألوان الذنوب والمعاصي كبيرة شريطة أن يكون مرتكبها متعمداً^(٢) .

وقد غلت بعض فرق المعتزلة في الحكم على مرتكبي الذنوب ،

(١) و (٢) مقالات الإسلاميين ١/٣٣٢ .

حق أنها لم تميز بين الصغير من الذنوب والكبير . فالواصلية مثلا
(تزعم أن كل مرتكب للذنب صغير أو كبير مشرك بالله) (١) ،
ولعل هذا الحكم القاسي يعود الى تسوية القدرية عموماً (بين
الشرك وما دونه من الكبائر في أن كلا من النوعين لا يغفر
بدون التوبة ، ولا يشاء الله أن يغفرها إلا للتائبين) (٢) .

لأنَّ واصلاً يسمي هذا المذنب موحداً وليس بمشرك ولا
كافر (٣) .

وبلغ الغلوّ بالجباثي درجة وصف معها الكثير من أرض
الاسلام والمسلمين بالكفر ، وكيف لا يكونون كذلك ، وهم
القائلون إنَّ القرآن غير مخلوق ، وأن الله سبحانه أراد المعاصي
وخلقها لأن هذا كله عنده كفر ، فبغداد ومصر وغيرها على
قياسه - دار كفر (٤) .

ثم ان هذه الذنوب والمعاصي عندهم لن يغفرها الله إلا بالتوبة ،
وإقامة الحد على المقترف للذنب لا يفيد (٥) مستدلين على ذلك

(١) الفرق بين الفرق ١١٧ .

(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٥٣٢/١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١١٩ .

(٤) مقالات الإسلاميين ١٥٥/٢ .

(٥) فتح الباري ٧٥/١ .

بقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) (١) .

وحين يُجَابَهُونَ بقول الله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٢) وهو صريح في أن الله يغفر لمن يشاء من المذنبين والمعصاة يَلْجَأُونَ الى التأويل وان كان متعسفاً .

يقول الزمخشري لتطويع هذه الآية لمذهبهم (الوجه أن يكون الفعل المنفي لا « يغفر » والمثبت « يغفر » جميعاً موجّهين الى قوله تعالى : لمن يشاء كأنه قيل : أن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالتالي من تاب .

ونظيره قولك : ان الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله) (٣) .

(١) سورة المائدة ٣٤ .

(٢) سورة النساء ٤٨ .

(٣) الزمخشري ٥٣٢/١ .

فقد سوتى بين المسلم والمشرك في وجوب التوبة مطوعاً الآية
لخدمة هذه التسوية (فردته ونبت عنه) (١) كما يقول صاحب
كتاب الانصاف . لأن (الشرك غير مغفور البتة وما دونه من
الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له ، هذا مع عدم التوبة
وأما مع التوبة فكلاهما مغفور) (٢) . وهذه هي عقيدة أهل
السنة و (الآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما
سنى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة
ما دونه مقرونة بمشيئة الله ، فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة
أهل السنة) (٣) .

ثم أن المعتزلة بعد أن قرروا أن الله لا يغفر لمن خرج من الدنيا
على معصية بدون توبة لأن ذلك يتنافى مع عدله وبالتالي مع
وعده ووعيده ، بل ومع نظريتهم في الصلاح والأصلح ، وضعوا
صاحب الكبيرة في المنزلة بين المنزلتين في الحياة الدنيا وأنزلوه
جهنم في الآخرة خالداً فيها غير أن عذابه أخف من عذاب
الكافر (٤) .

وهو حكم يزعم جعفر بن مبشر أنه من موجبات العقول

(١) و (٢) و (٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٥٣٢/١ .

(٤) الملل والنحل ٤٥/١ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٨١ .

مخالفاً (أسلافه الذين قالوا : ان ذلك معلوم بالشرع دون العقل) (١) .

ذلك أن أهل النار اذا دخلوها لم يصح خروجهم منها لأن في خروجهم ثواباً ، فيصبح الواحد منهم من أهل الثواب ، ومن أهل العقاب معاً وهذا كالمتضاد (٢) .

والدعوتة أدلتهم فيما ذهبوا اليه من تأييد العقاب في النار من ذلك :

أ - قول الرسول ﷺ : (من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يجأ بها نفسه في نار جهنم خالداً مخلدأً فيها أبداً) (٣) .
وقد أجيب عنه بستة أجوبة منها :

١ - أن محمد بن عجلان رواه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فلم يذكر خالدأً مخلدأً ...

٢ - أن الخلود انما يصدق على من استحله ، فانه يصير باستحلاله كافر . والكافر مخلد بلا ريب .

(١) الفرق بين الفرق ١٦٨ .

(٢) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٤ والحديث خرج نحوه : البخاري - الفتح ٣/

٤٦٩ - ٢٤٥/١٤ ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي .

٣ - ورد التخليد مورد الزجر والتغليظ وحقيقته غير مراده (١) ...

ب - ويستدلون أيضاً بقوله ﷺ (إياكم والزنا فان فيه سوء الحساب وسخط الرحمن وخلود النار) (٢) وقوله ﷺ (من انتسب الى غير أبيه فالجنة عليه حرام) وقوله ﷺ (من اقتطع مال امرئ مسلم حرم الله عليه الجنة وأدخله النار) .

ج - وما يروونه عن خلود أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة قوله ﷺ :

إذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار نادى مناد بينهما : (يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) (٣) .

ويقول القاضي عبد الجبار كما ثبت خلود أهل الكفر في النار ثبت أيضاً تخليد قاتل النفس والفار من الزحف وأكل مال اليتيم وغير ذلك (٤) .. وبما أن الله صاحب أعظم نعمة على الانسان فان من عصاه ينبغي أن يعظم عقابه بعظم معصيته (وذلك يبين

(١) فتح الباري ٣/٤٧٠ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥٥ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٥ - والحديث خرجه البخاري ١٧ / ٢٠٧ -

٢٠٩/١٧ .

(٤) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

حسن العقاب الدائم (١) .

ونجد من المعتزلة من يتخلى عن الخلود كالعلاف ويقول بفناء
نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهل النار (٢) مما جعل عدداً من
زعماء المعتزلة يردون عنه ويوبخونه كالجبائي وأبي موسى (عيسى
ابن صبيح المعروف بالمردار) . وقد ألف كلٌ منهما كتاباً ذكر فيه
فضائح أبي الهذيل ، ولجعفر بن حرب أحد زعماء المعتزلة كتاب
سماه توبيخ أبي الهذيل (٣) .

وقد تصدى أهل الحديث للرد عن ضلالات المعتزلة مستندين
الى ما صح في السنة النبوية من الآثار ، وقد أجمعوا على أن
المعاصي ليست موجبة للخلود ، فقد جاء عن (أبي سعيد أن
النبي ﷺ قال : يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم
يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو
الحياة شك مالك ، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم
تر أنها تخرج صفراء ملتوية) (٤) وقد عقب ابن حجر على هذا
الحديث بقوله : (وأراد البخاري بإيراده ، الرد على المرجئة لما

(١) فضل الاعتزال ٢١٠ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ٤٤ — الفرق بين الفرق ١٢٢ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٢٢ .

(٤) البخاري كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان الفتح ٧٩/١ .

فيه من بيان ضرر المعاصي مع الايمان ، وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود (١) فلا يلزم من اطلاق دخول النار التخليد فيها (٢) .

وإذا اعتبرت إقامة الحد كفارة لصاحبها ومجزية عن اعلان التوبة ، فان غفران ذنب من لم يقم عليه حد ولم يتب يبقى رهن ارادة الله وذلك مصداقاً لقوله ﷺ في عصابة من صحابته (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك) (٣) .

وان المعتزلة القدرية بتشدهم في تخليد مرتكب الذنب في النار ما لم يتب ينطبق عليهم المثل السائر (السيد يعطي والعبد يمنع) لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصرّ على الكبائر ان شاء ، وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء

(١) فتح الباري ١/٨٠ .

(٢) فتح الباري ١٤/٢٩١ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الايمان باب حدثنا أبو اليان . . . الفتح ١/٧١ .

على قاعدة الأصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق (١) .

ح - انكارهم لعذاب القبر :

ومما أثبتته السنة وأنكره المعتزلة عذاب القبر . يقول الأشعري : انهم والخوارج نفوا عذاب القبر (٢) .

ولئن جعل القاضي عبد الجبار المعتزلة ينقسمون الى منكر لعذاب القبر ومثبت له فانه يقول ان الذي نفاه انما هو ضرار بن عمرو «وهو من أصحاب واصل بن عطاء» ويورد حجة المنكرين فيقول : ان الميت لما يدفن (لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك ولا يلتذ فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت)؟ ويضيف : (وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال) (٣) .

وهذا مخالف صراحة لما ثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد عقد البخاري باباً في كتاب الجنائز ترجم له بقوله : (باب ما جاء في عذاب القبر) (٤) وقد أورد فيه عدداً من الأحاديث منها :

— حديث أنس بن مالك (رض) أن رسول الله ﷺ قال :

-
- (١) الانصاف الكشاف ١/٥٣٣ .
 - (٢) مقالات الإسلاميين ٢/١١٦ .
 - (٣) فضل الاعتزال ٢٠٢ .
 - (٤) أنظر فتح الباري ٣/٤٧٣ .

ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وانه ليسمع قرع
نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا
الرجل محمد ﷺ ؟ الحديث (١) .

كما أن كلا من أبي داود والنسائي والترمذي عقدوا أبواباً
ترجموا لها بنحو ما ترجم له البخاري وأوردوا فيها أحاديث
كثيرة تثبت كلها عذاب القبر .

(١) أنظر فتح الباري ٤٨٠/٣ - والحديث خرجه مسلم ٤/٢٢٠٠ -
٢٢٠١ - الترمذي ٣/٣٧٤ .



من مباحث المعتزلة المجافية للعقل والمخالفة للسنة

حين يذكر اسم المعتزلة يتبادر الى الذهن أنهم القوم الذين يجدون العقل وبالتالي يربأون به وبأنفسهم عن الخوض في مسائل لا تمت الى العقل بصلة إلا أن تاريخ المعتزلة يثبت خلاف ذلك حيث تناول بعضهم بحث مسائل يجوز وصفها بأنها تافهة : من ذلك مثلا :

١ - بحشهم في مصير اليد المقطوعة لرجل مؤمن كفر بعد القطع أو لرجل كافر آمن بعد القطع (١) ؟

٢ - وبحشهم في عوض البهائم وقد انقسموا الى خمسة أقوال ، منها :

أ - قول قوم : ان الله سبحانه يعوضها في المعاد وانها تنعم في الجنة وتصور في أحسن الصور فيكون نعيمها لا انقطاع له .

ب - وقال جعفر بن حرب والأسكافي: قد يجوز أن تكون

(١) مقالات الإسلاميين ١/٣١٧ .

الحيات والعقارب وما أشبهها من الهوام والسباع تعوض في الدنيا
أو في الموقف ثم تدخل جهنم فتكون عذاباً على الكافرين ولا
ينالها من ألم جهنم شيء كما لا ينال خزنة جهنم .

٣ - كما نظروا في عقول هذه البهائم هل سَيُكَمِّلُهَا اللهُ أم تبقى
على حالها في الدنيا ؟ وبحثوا مسألة اقتصاص الله من بعضها
لبعض (١) .

٤ - ونظر الخابطية أصحاب أحمد بن خابط (ت ٢٣٢ هـ)
والحدثية (أصحاب الفضل الحديثي (ت ٢٥٧ هـ) في أصناف
الحيوانات فَفَرَّروا أن كل صنف من الحيوانات أمة على حدة ولها
رسول (٢) ؟

٥ - وبحثوا في عقاب الأطفال ؟ : فقال أكثر المعتزلة ان
الله سبحانه يؤلمهم عبرة للبالغين ، ثم يعوضهم ، ولولا أنه يعوضهم
لكان إيلاهم اياهم ظلماً . الا أن اجماعهم يذهب الى أنه لا يجوز
أن يؤلم الله سبحانه الأطفال في الآخرة ولا يجوز أن يعذبهم (٣) .

٦ - ولعل من أغرب المسائل التي أدلى فيها بعض فرق
المعتزلة وهم الخابطية والحدثية برأيهم وكان رأيهم واضح

(١) مقالات الاسلاميين ١/٣١٩ - ٣٢٠ .

(٢) ملل الشهرستاني ١/٦٣ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٣١٩ .

الانحراف وهو اثباتهم الألوهية للمسيح^(١) هذا المعتقد الذي حرك جمهور المعتزلة لنفي صفات الله وجعلوا كلامه تعالى مخلوقاً حادثاً كي يقطعوا الطريق أمام المسيحيين الذين آمنوا بالأقانيم الثلاثة واتخذوا من قوله تعالى أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم^(٢) حجة يعضدون بها مذهبهم المنافي للتوحيد .

وكما رد القرآن للمسيح وأمه اعتبارهما أكدت السنة ما جاء به القرآن وجعلت قول من قال (ان الله اتخذ ولدأ) ، من الكبائر . جاء في الحديث القدسي : (... وشتني ابن آدم ، ولم يكن ينبغي أن يشتني ... وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدأ ، وأنا الله الأحمد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد)^(٣) .

٧ - ونظرم في الصلاح والأصلح جعل النظام يحد من قدرة الله حيث قال : ان الله لا يقدر أن يزيد في عذاب ، أهل النار ذرة ولا أن ينقص من نعم أهل الجنة شيئاً^(٤) وهو رأي يتنافى

(١) ملل الشهرستاني ٦٠/١ .

(٢) سورة آل عمران ٤٥ ، وقوله تعالى : (انما المسيح عيسى بن مريم

رسول الله وكلمته) سورة النساء ١٧١ .

(٣) النسائي كتاب الجنائن ٩١/٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٣٣ - ملل الشهرستاني ٥٤/١ .

مع أبسط قواعد العقل والشرع التي أثبتت الله تعالى القدرة المطلقة .

أما عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار (ت ٢٢٦ هـ) فينزل بالله الى مستوى الكذب والظلم قياساً على حياة البشر فيجعله قادراً على ذلك ، وان فعل كان إلهاً كاذباً ظالماً (١) .

في حين ينفي أبو الهذيل العلاف عن الله القدرة على رؤية بعض الأجزاء التي لا تتجزأ (٢) .

وقرر بعض المعتزلة أنه لا يجوز اطلاق اسم شيء على الشيء حتى يوجد ويخلق ، فهذا هشام بن عمرو الفوطي يرى أن (الأشياء قبل كونها معدومة ، والمعدوم ليس بشيء) وعليه لا يجوز عنده أن تكون هذه المعدومات معلومة لله تعالى (٣) .

وفي الحقيقة فان علم الله وسع كل شيء ما خلق وما سيخلق ، فقد جاء في صحيح البخاري قول الرسول ﷺ : (ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغاً مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربعه : برزقه وأجله

(١) ملل الشهرستاني ٦٩/١

(٢) الفرق بين الفرق ١٣٠ .

(٣) فضل الاعتزال ٧٢ .

وشقي أو سعيد (١) ففي هذا الحديث كما يقول شارحه ابن حجر : (ان الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكلّيات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة) (٢) .

٨ - منهم الحكم بالرأي في الفتيا : ولعل من العجيب أن نرى بعض المعتزلة (٣) ، وهم ممن رفعوا لواء العقل أن يجرموا الحكم بالرأي في الفتيا كما قالت النظامية وقد سبق أن بينا مخالفة هذا الاتجاه للسنة مستدلين باجتهادات للرسول ﷺ .

من أسباب اضمحلالهم :

الأسباب التي أودت بالمعتزلة كثيرة ومتنوعة ومنها ما يعود الى طبيعة مذهبهم وطريقة تطبيقهم ونشرهم لنحلّتهم ، ومنها ما يعود الى تعقب أهل السنة لهم بدحض شبههم وانحرافاتهم .

١ - بعدهم عن تطبيق معتقدهم في الايمان :

لئن نادى المعتزلة بالعمل وجعلوه شرط صحة في ثبوت الايمان ، وغلوا في الوعيد فان العديد من أعلامهم كانوا أول من مال على هذا الركن الأساسي في عقيدتهم بالهدم والاهمال ، بل

(١) البخاري كتاب القدر ، الفتح ١٤/٢٧٧ - ٢٨٢ .

(٢) فتح الباري ١٤/٢٩١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٤٩ .

تجاوزوا هذا، إلى الهزء من بعض الشعائر وبلغ بهم الأمر إلى تناول الرسول ﷺ بما لا يليق بمقامه السامي . مما لا يدع مجالاً للشك في أنهم انما يصدرون في آرائهم عن عقائد و تراث أجنبي لا يتفق و شريعة الاسلام .

فهذا النظام وهو أحد زعماء المعتزلة البارزين يعد من أفسق خلق الله وَأَجْرِيهِمْ عَلَى الذنوب العظام وعلى إدمان شرب المسكر حتى أن ابن قتيبة ينسب إليه قوله : ما زلت آخذ روح الزق في لطف : وأستبيح دماً من غير مجروح .

حتى اثبتت ولي روحان في جسدي : والزق مطرح جسم بلا روح (١) وأبو هاشم بن أبي علي الجبائي كان من ناحية يفرط في الوعيد حتى أنه لم يقبل توبة المقلع عن الذنب بعد المعجز عن اقترافه ، ومن ناحية أخرى كان أفسق أهل زمانه ، وكان مصرأ على شرب الخمر حتى قيل انه مات في سكره (٢) .

ومما يؤثر عنه أنه يرى أن (الطهارة غير واجبة) (٣) معللاً مذهبه هذا بقوله : (ان غيره لو طهره مع كونه صحيحاً أجزاء) ، وهي محاولة مكشوفة لإفساد الشريعة وافراغها

(١) تأويل مختلف الحديث ١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ١٩٧ .

من محتواها وهي مخالفة صريحة لقول الرسول ﷺ : (لا تقبل صلاة بلا طهور ولا صدقة من غلول) .

ومما رواه الجاحظ في كتاب المضحك أن المأمون رأى يوماً ثامة بن أشرس وهو من زعماء المعتزلة (سكران قد وقع في الطين) فقال له : ثامة ؟

قال : أي والله . قال : ألا تستحي ؟ قال : لا والله .

قال : عليك لعنة الله . قال (تترى ثم تترى) (١) .

وكان ثامة متهاوناً في أداء الفروض آية ذلك أن خادمه قال له يوماً : قم صل فتغافل ، فقال له : قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح ، فقال أنا مستريح إن تركتني (٢) .

قد يقولى قائل : انها الروح المرحة التي يتميز بها المعتزلة . فيقال : قد يكون ذلك ، ولكنها تعكس حقيقة مواقفهم من الايمان وتطبيقاته وقد بلغ الأمر بثامة الى التهوين من شأن بعض الشعائر ، والسخرية من المسلمين وتنقص شأن الرسول ﷺ فقد (رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة الى المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال : انظروا الى البقر انظروا الى الحمير) .

(١) الفرق بين الفرق ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ١٧٤ .

ثم قال لرجل من اخوانه : ما صنع هذا العربي بالناس؟^(١).

ومثل هذه العبارات التي تنضح مروفاً كثيراً ما تطالنا ونحن نتصفح تاريخ المعتزلة ورجالهم : فهذا عمرو بن عبيد الذي طار بلب أبي جعفر المنصور وكان يعده من أزهد الناس في زينة الحياة الدنيا حتى حزن لوفاته . وراثه يقول : (لو كانت تبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة) تساوقاً مع ايمانه بنفي القدر أي نفي العلم الأزلي لله بما هو كائن .

وكنا قد رأينا ألواناً من هذا العناد والكفر أثناء حديثنا عن موقفهم من الحديث الشريف .

وكثيراً ما يوصف أعلامهم بالفسق والفجور ، فهذا أبو الفتح الأزدي يصف واصلاً بن عطاء بأنه (رجل سوء كافر)^(٢) ووصف البغدادي بعض الفرق بأكلها بالغلو في الكفر كالتخابطية والجمارية^(٣) .

٢ - كثرة اختلافاتهم :

ولعل مما عجل بانقراضهم كثرة اختلافاتهم ، وهذا يرجع

(١) تأويل مختلف الحديث ٤٩ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ .

(٣) الفرق بين الفرق ١١٤ .

الى تنوع مصادرهم وتضاربها والى تعويلهم على العقل الذي قدموه على القرآن والسنة وجعلوا منه رائدهم وامامهم ، وقد ثبت في محك الواقع أن العقول والأفهام كثيراً ما تختلف بل فان العقل الواحد كثيراً ما يجذب اليوم أمراً يكفر به غداً ويلعنه ، والخطير في اختلافاتهم أنها شملت قضايا العقيدة نفسها .

يقول ابن قتيبة في معرض تصوير ما اعترى القوم من الانقسامات رغم صدورهم عن الرأي والنظر (وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس واعداد آلات النظر أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلتهم لا تدل الا على عدد والا على شكل واحد ، وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق ... فما بالهم أكثر أهل الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين .

(فأبو الهذيل العلاف يخالف النظام والنجار يخالفها وهشام ابن الحكم يخالفهم وكذلك ثمامة ومويس وهاشم الأوقص و... ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين ، يُدان برأيه وله عليه تبع) (١) .

وقلما تمر بهم مسألة ولا تختلف حولها أنظارهم ، حتى أن عبارة (اختلفت المعتزلة) تكاد تتصدر كل المسائل التي تناو لها

(١) تأويل مختلف الحديث ١٤ - ١٥ مقالات الاسلاميين ٢/٢٣٢ .

المعتزلة بالبحث .

وقد يبلغ الاختلاف والتنافر بينهم الى درجة يكفر فيها بعضهم بعضاً وأكثر زعمائهم يكفرون أتباعهم المقلدين لهم (١) .

وليس حتماً أن يكون هذا التناقض والاختلاف بين الفرق والأفراد وإنما قد يصيب التناقض الفرد الواحد منهم فيرى الرأي ثم يتراجع ويتوب، عنه لما يبدو له من سقمه وعقمه ، فهذا أبو سهل بشر بن الماتمر مثلاً آمن بأراء فيها مروق عسن الدين وخروج عن صحابته (ثم تاب ورجع الى أصحابه) (٢) .

وقد صورت انقسامهم واختلافاتهم الشديدة مؤلفاتهم التي انبرى فيها كل طرف يسفه الثاني ويكشف عواره .

فقد ألف بشر بن المعتمر كتاباً في الرد على ضرار بن عمرو المعتزلي سماه « الرد على ضرار » (٣) .

ثم ان بشراً هذا يكفره تلميذه المردار (عيسى بن صبيح) الملقب براهب المعتزلة بل ويكفر معه أبا الهذيل العلاف والنظام وعددأ من شيوخه وقد بادلوه هؤلاء تكفيراً بتكفير (٤) .

(١) الفرق بين الفرق ١٩٧ .

(٢) فضل الاعتزال ٧٢ .

(٣) مقالات الاسلاميين ٢٤٦/١ هامش رقم ٢ ، ٣٣٩/١ هامش رقم ١ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٦٦ .

ولعباد بن سليمان الضمري، وهو من أصحاب هشام الفوطي
كتاب يسمى الأبواب نقضه أبو هاشم الجبائي، وقال عنه أبو
الحسين الملطي (ملا الأرض كتباً وخلفاً وخرج عن حد
الاعتزال الى الكفر والزندقة) (١).

وكتب ابن الراوندي (ت ٢٩٨ هـ) الذي نكص عن
الاعتزال بعد أن كان من متكلمي المعتزلة وانغمس في الإلحاد
والزندقة كتاباً سماه «فضيحة المعتزلة» نقضه أبو الحسين بن
الخطاط (ت ٣٠٠ هـ) بكتاب سماه الانتصار (٢).

هذا فضلاً عما ألفه أهل الجماعة في بيان زيغ المعتزلة جميعهم
وفساد نحلتههم.

٣ - آراؤهم المنافية للإسلام :

ان تأثر عدد من رجال الاعتزال بالأراء والمذاهب الفلسفية
والدينية القديمة جعلهم يصدعون بأراء تتجافى وعقيدة الاسلام
البسيطة الواضحة، فقد نفوا القدر فسموا القدرية، ونفوا
صفات الله فسموا النفاة، قالوا بخلق القرآن ونفوا رؤية الباري

(١) الفرق بين الفرق ١٦١ هامش رقم ١ .

(٢) مقالات الإسلاميين ٢٤٠/١ هامش رقم ٢ - الفرق بين الفرق ١٢٣

هامش رقم ١ .

يوم القيامة ، بل شك بعضهم في المحسوسات (١) كلها على غرار ما كان ينادي به (بيرون) والفلاسفة الشكاك اليونان ... ونادى آخرون بما كان يعتقد المجوس من علو النار بطباعها على كل شيء (٢) ... وآمن بعضهم بالطفرة وهي انتقال الجسم من مكان رقم ١ الى مكان رقم ٣ أو رقم ١٠ من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر (٣) .

وتأثرهم بالفلسفة والمذاهب الملحدة جعلهم يقدمون العقل على الشرع رغم ما أنكره بعضهم من اجتهاد الرأي في الأحكام .

وأحدثت مواقفهم هذه أزمة حادة بينهم وبين مصادر الشريعة الاسلامية خاصة الحديث حيث حكموا الهوى فردوا ما يتعارض وآراءهم من الأحاديث ، وهو أمر لا يجوز أن يمر دون موقف صارم يقفه رجال الاسلام المتمسكون بالقرآن والسنة بعيداً عن كل تأثير أجنبي .

والذي زاد الطين بلة هو استخدام المعتزلة للعنف لفرض آرائهم ، فقد استغل بعض المعتزلة ممن وصل الى قلوب بعض الخلفاء العباسيين كالقاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي عاصر ثلاثة

(١) الفرق بين الفرق ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ١٣٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٠ .

منهم هم المأمون والمعتمد والواثق ، وكان له في قلب كل منهم مكان وسلطان ، حتى أن المأمون كان قد أوصى أخاه المعتمد بملازمة ابن أبي دؤاد فقد استغل نفوذه لديهم حتى أنه حمل الواثق على أن يرسل إلى القضاة في سائر البلاد ليمتحنوا الناس في القرآن . وأمرهم ألا يقبلوا شهادة من لم يقبل بالتوحيد^(١) .

ولم يتورعوا عن اغتيال المخالفين لهم في الرأي ، فقد كان (عباد بن سليمان يرى قتل الغيبة في مخالفيه إذا لم يخف شيئاً)^(٢) ، كما كانوا يرون الثورة والاستيلاء على الحكم بالقوة لفرض آرائهم ، فهم يقولون : (إذا كنا جماعة ، وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا عقدنا للامام ، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه ، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا فان دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد وفي قولنا في القدر ، والاقتلناهم)^(٣) .

وهذا يخالف للشريعة التي تحرم سفك الدماء . يترى الرسول ﷺ : ... فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام^(٤) .

٤ - مقاومتهم فكرياً : وقد تولى أهل السنة والجماعة

(١) انظر أدب المعتزلة ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) و (٣) مقالات الإسلاميين ١٥٧/٢ .

(٤) خرج به البخاري كتاب العلم فتح الباري ١/١٦٨ - مسلم ٣/

١٣٠٦ - الترمذي ٤/٤٦١ - ابن ماجه ٢/١٠١٥ - الدارمي

١/٣٩٣ .

أيضاً مقاومة المعتزلة فكريباً وذلك بتأليف المصنفات التي
تكشف ما وقعوا فيه من خروج عن الشرع وعن اجماع المسلمين
وإبراز ما وقعوا فيه من تناقض وخطل ، حتى يوقفوا المسلمين
على حقيقة أمرهم فيتجنبوهم . وقد جمعت الاحقاد بعض أهل
السنة بغالي في تبشيع المعتزلة وتكفيرهم ، فهذا ابن قتيبة يؤلف
تأويل مختلف الحديث ليرد على الشبه والضلالات التي ارتقى فيها
المعتزلة . فهو وان ذكر في مقدمة كتابه (وأرجو أن لا يطلع
ذو النهى مني على تعمد لتمويه ، ولا إيثسار لهوى ولا ظلم
لخصم) (١) فإنه بلغ حد الإقذاع في تصوير ظلم المعتزلة وضلالهم .

كما أن عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق
أسرف في تكفير المعتزلة واستباحة دمائهم وأموالهم (٢) . وقد
ألف الى جانب الفرق بين الفرق كتاباً سماه الحرب على ابن
حرب نقض فيه أصول وفصول كتاب جعفر بن حرب الحافل
بالضلالات (٣) .

ولأبي الحسن الأشعري الذي عاش ردهاً طويلاً من عمره
معتزلياً حتى بلغ مرتبة الامامة فيهم ألف في كشف فضائح

(١) تأويل مختلف الحديث ١٣ .

(٢) أدب المعتزلة ١٦١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٦٩ .

المعتزلة (الابانة في أصول الديانة) لما فتح الله بصيرته وأوقفه على حقيقة أمرهم . كما كتب مقالات الاسلاميين ، وقد تناول فيها أصول المعتزلة بالنقض والطمع وقد مات وهو يلعن المعتزلة لأنه كان شديد الكره لهم والنقمة عليهم^(١) .

وألف ابن حزم الفصل والشهرستاني الملل والنحل ، وأبو الفرج بن الجوزي مناقب الامام احمد بن حنبل ، وهي مؤلفات تثبت جميعها تمسك أهل السنة بالشرعية الصحيحة الخليفة عن الهوى كما تصور زيغ المعتزلة عن السبيل ووقوعهم في المحذور نتيجة تأثرهم بالتيارات الدخيلة وعدائهم لأصول الشريعة .

وقد أتت جهود التوعية التي قام بها الأئمة الأوائل لتنفيذ الجماهير المسلمة من المعتزلة وآرائهم أكلها حتى صار اسم الاعتزال مرادفاً للابتداع والخروج عن الشرع الذي يوجب الترك والتجنب .

فهذا محمد الباقر ينعي على أخيه زيد بن علي بن الحسين السبط أخذه لمذهب المعتزلة عن واصل بن عطاء^(٢) .

وحين سئل قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة عن المعتزلة قال : هم الزنادقة .

(١) ادب المعتزلة ١٥٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٠ .

ورد الشافعي قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء أسوة
بمالك وفقهاء أهل المدينة^(١) .

ويصف ابن عبد البر المعتزلة بأنهم أهل البدع ، ويقول عن
كتبهم انها كتب أهل الاهواء والبدع^(٢) .

وحين يذكر القاضي عبد الجبار عند بعض النقاد يصفه
بالثقة في حديثه الا أنه يستدرك بقوله (لكنه داع الى
البدعة)^(٣) .

ويصف السيوطي أحدهم بأنه فقيه الا أنه مهجور القول
عند الأئمة لميله الى الاعتزال^(٤) .

وهكذا فقد صار المعتزلة حتى أيام الفحول منهم عنواناً على
المروق عن الدين والبعث عن الشريعة ، وقد انعكس هذا حتى
على رؤى العلماء والصالحين : فهذا ثابت البناني وعاصم الأحول
يربان عمرو بن عبيد في المنام وهو يحك آية من المصحف مدعياً
إبدالها بخير منها فلم يستطع^(٥) .

وفي هذه الرؤيا اشارة الى تحريف المعتزلة لما جاء صريحاً في

(١) الفرق بين الفرق ١٧١ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١١٦/٢ ، ١١٧ .

(٣) فضل الاعتزال ١٢٦ .

(٤) تدريب الراوي ٧٢/١ .

(٥) ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣ .

القرآن كالرؤية وغيرها . وقال حماد (أبو سلمة) : (رأيت
كأن الناس يصلون يوم الجمعة الى القبلة وهو مدبر عنها ، فعلمت
أنه على بدعة ، فتركت الرواية عنه)^(١) .

كما أن اسماعيل بن مسلمة القعني رآه في ثلاث ليال متتالية
في النار^(٢) كما رآه محمد بن عبد الله الأنصاري في النوم قد مسح
قرداً .

(١) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٩ .

مِنَ فُضَائِلِ الْمُعْتَزِلَةِ

ولئن خرج المعتزلة عن سمت الاسلام وكثرت انحرافاتهم فان لهم العديد من الفضائل تتمثل في مقاومة بعض زعمائهم - من ذوي النفوذ - لعدد من الماجنين تطبيقاً لمبدئهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فقد نفى واصل بن عطاء بشار بن برد من البصرة الى حران فلم يعد الى البصرة الا بعد وفاة واصل ، وكان قد تهدده بالقتل ، ولكنه أنف من اغتياله مخالفاً من يرى الاغتيال من المعتزلة .

واتهم عمرو بن عبيد (- وهو الذي قال عنه الحسن البصري ... هو خير فتيان أهل البصرة وله فضائل كثيرة لا يجمعها الا كتاب مفرد ، ويقال عنه انه حج أربعين سنة ماشياً ، وبعيره يقاد معه يركبه الفقير والمنقطع به ، وكان يحمي الليل كله في ركعة فعل ذلك غير مرة في المسجد الحرام^(١)) - اتهم

(١) فضل الاعتزال ٦٨ .

عبد الكريم بن أبي العوجاء بالزندقة والاحاد وإفساد الشباب ودعاه الى مغادرة البصرة فقد قال له: (بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتستذله وتدخله في دينك ، فان خرجت من مصرنا والاقمت فيك مقاماً آتي فيه على نفسك)^(١) .

ومبدأهم هذا (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) جعل بعضهم يخرج على الامام الظالم ، من ذلك أن عمرو بن عبيد حض أصحابه على نصرة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي هب لتخليص الخلافة من برائن ابن عمه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان الذي كان ملحداً مارقاً وله شعر يتغنى فيه بمروقه^(٢) حتى أنه رمى المصحف وجعله غرضاً ... وقد خرجت عليه الغيلانية وقتلوه^(٣) .

وخرج بشير الرحال سنة ١٤٥ هـ في جماعة من المعتزلة مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد أظهروا صبراً وجلداً حتى قتلوا بين يديه ثم قتل^(٤) .

وبذل المعتزلة كل جهد لنشر دعوتهم في الآفاق ففرقوا رسلهم الى أمصار المشرق والمغرب للدعوة الى مذهبهم^(٥) .

(١) و (٢) فضل الاعتزال ١١٥/١١٧ .

(٣) فضل الاعتزال ١١٠/١١٧ .

(٤) فضل الاعتزال ٦٦ - ٦٧ .

(٥) أدب المعتزلة ١٥٠ .

وقد شارك أعلامهم في هذه الحملة بحسب البلاد واقامة حلقات
الدرس لمناقشة مخالفاتهم ومجادلة الملحدين والمعاندين ورد شبه
الخوارج والمرجئة^(١) ومقاومة المسيحيين واليهود والمجوس بفرقهم
المختلفة التي تمألت على الاسلام لإيقاف مده واشعاعه الفلاب ،
وقد استخدموا طرائق الفلسفة لإثارة الشبه والشكوك حول
الاسلام واستطاع المعتزلة استخدام هذا السلاح نفسه بعد أن
أحاطوا بمختلف المذاهب الفلسفية والآراء الدينية ، وتزودوا
بفنون الجدل والمناظرة ، وبذلك تمكنوا من إعادة بعض من
ضعف ايمانه من المسلمين الى طمأنينة الايمان ، وإفحام هؤلاء
الأعداء الكثر .

كما اتخذوا الكتابة سبيلا الى دعم منهجهم وتأييد نحلتهم
فكانت لهم مصنفات تشهد لهم بالقدرة والعلم وسعة الاطلاع^(٢)
رغم ضآلتها نتيجة ما أصابها من تحريق واثلاف أثناء حملات
تطهير البلاد منهم .

الا أنهم أفسدوا الكثير من علوم الشريعة بتحكيمهم واستنادهم
الى الهوى .

والذي أتى على مجد المعتزلة وأذهب ريمهم هو تلك الاصابات

(١) فضل الاعتزال ١٦٥ - ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢٩ - شذرات
الذهب ٣ / ٢٠٢ - الاعلام ٩ / ١٢٢ .
(٢) التوبيخ لمن ذم التاريخ ٣٠٠ .

الخطيرة القائلة التي استهدف لها الكثير منهم نتيجة ارتمائهم في أحضان الآراء الدخيلة الملحدة أو المنحرفة فصدروا عنها في العديد من آرائهم فضلوا السبيل ، وانحرفوا عن السمات فكانوا بحق مبتدعة تعرت آراؤهم من كل دليل شرعي وأنى يكون لهم هذا الدليل وقد اتخذوا من العقل دليلاً يؤولون به من الآيات ما لم تهتد الى ادراكه أفهامهم ويردون به من الأحاديث كل ما لا يتساق مع جموح هواهم المتعصب لمذهبهم مهما توافرت أدلة صحتها وقبولها .

وبذلك يصدق عليهم ما قاله الدكتور مصطفى الصاوي الجويني : (ولئن كانت بدايتهم دفاعاً عن الاسلام من طعنات أعدائه ، فلقد كانت نهايتهم تعصباً مذهبياً لغاية التعصب) (١) .

(١) مجلة العربي عدد ١٢٢ ص ١٤٣ .

المصادر

- القرآن الكريم .
- ١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي -- ونسك ليدن.
- الاتقان - السيوطي ط ٣ - مصطفى الحلبي مصر
١٣٧٠ هـ .
- ٢ - أدب المعتزلة - د. عبد الحلیم بلیغ - ط ٢ - مطبعة
الرسالة مصر ١٩٦٩ م .
- ٣ - اعجاز القرآن - الباقلائي - ط ٣ - دار المعارف بمصر
١٩٧٢ م .
- ٤ - الأعلام - الزركلي - ط ٣ - بيروت .
- ٥ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - السخاوي - بغداد
١٣٨٢ هـ .
- ٦ - الاماع - عياض - ط ١ - دار التراث - القاهرة المكتبة

العتيقة تونس ١٣٨٩ هـ .

٧ - الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - مطبوع على هامش الكشاف .

٨ - الاهرام (جريدة يومية) صفحة الفكر الديني ١٢ مارس ١٩٧٦ .

٩ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ابن كثير . ١٣٧٧ هـ .

- البخاري - انظر صحيح البخاري أو الجامع الصحيح .

١٠ - تاريخ المذاهب الاسلامية - ابو زهرة - دار الفكر العربي .

١١ - تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة - دار الجيل - بيروت . ١٣٩٣ هـ .

١٢ - تدريب الراوي - السيوطي - دار الكتب الحديثية - ط ٢ - ١٣٨٥ هـ .

١٣ - تفسير ابن كثير - كتاب الشعب .

١٤ - التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي - ط ١ - الناشر المكتبة السلفية ٣٨٩ .

- التوبيخ لمن ذم التاريخ - السخاوي - انظر الاعلان بالتوبيخ .

- ١٥ - التوراة - الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس -
القاهرة .
- ١٦ - تيسير علوم الحديث والرد على أعداء السنة - د. محمد
السيد ندا - ط ١ - دار الطباعة المحمدية ١٣٩١ هـ .
- ١٧ - جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد الكبر - ط ١ -
الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ٨٨ .
- الجامع الصحيح للبخاري - انظر صحيح البخاري .
- الجامع الصحيح لمسلم - انظر صحيح مسلم .
- جريدة الاهرام - انظر الاهرام .
- الدارمي - انظر سنن الدارمي .
- ١٨ - دلائل النبوة - البيهقي - المجلس الاعلى للشؤون
الاسلامية - القاهرة ١٣٨٩ هـ .
- ١٩ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني - ط ٣ - مطبعة حجازي
القاهرة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٠ - الرسالة - الشافعي - ط ١ - مصطفى الحلبي ١٣٨٨ هـ .
- ٢١ - زهر الربى على المجتبي للسيوطي - شرح سنن النسائي -
انظر سنن النسائي .
- ٢٢ - السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي - مصطفى السباعي
ط - مكتبة العروبة القاهرة ١٣٨٠ هـ .

- ٢٣ - سنن أبي داود - ط ١ - مصطفى الحلبي - ١٣٧١ هـ
- ٢٤ - سنن الترمذي - « من ١٣٥٦ هـ - ١٣٨٨ هـ »
- ٢٥ - سنن الدارمي - المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٦ - سنن النسائي - مصطفى الحلبي - ط ١ - ١٣٨٤ هـ .
- ٢٧ - سنن ابن ماجه - عيسى الحلبي - ١٩٧٢ م .
- ٢٨ - سيرة ابن هشام - ط ٢ - مصطفى الحلبي ١٣٧٥ هـ .
- ٢٩ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن عماد الحنبلي
- المكتب التجاري بيروت - لبنان .
- ٣٠ - شجرة النور الزكية - المطبعة السلفية - القاهرة
١٣٤٩ هـ .
- ٣١ - شرح شواهد الكشاف - مطبوع على هامش
الكشاف .
- ٣٢ - صحيح البخاري - مطبوع على هامش فتح الباري .
- ٣٣ - صحيح مسلم - ط ١ - عيسى الحلبي - ١٣٧٤ هـ .
- ٣٤ - ضحى الاسلام - أحمد أمين ط ٧ - النهضة المصرية .
١٩٦٤ م .
- ٣٥ - العربي - مجلة شهرية تصدر بالكويت عدد ١٢٢ .
عدد ١٥٠ .
- ٣٦ - فتح الباري لابن حجر المسقلاني - مصطفى الحلبي
١٣٧٨ هـ .

- ٣٧ - فجر الاسلام - أحمد أمين ط ١٠ - دار الكتاب العربي -
بيروت ١٩٦٩ م .
- ٣٨ - الفرق بين الفرق - عبد القاهر البغدادي - مطبعة
المدني - القاهرة .
- ٣٩ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - البلخي -
القاضي عبد الجبار الجشمي - الدار التونسية للنشر
١٣٩٣ هـ .
- ٤٠ - في التوحيد - ديوان الاصول لأبي رشيد سميد
ابن محمد النيسابوري - المؤسسة العامة للتأليف والنشر
١٩٦٩ م .
- ٤١ - القاموس الهيظ - الفيروز آبادي - ط ٢ - مصطفى
الخلي ١٣٧١ هـ .
- ٤٢ - الكشاف الزمخشري - مصطفى الخلي ١٣٨٥ هـ .
- ٤٣ - الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي ط ١ - دار
الكتب الحديثة .
- ٤٤ - محاضرات في علوم الحديث - د. مصطفى أمين التازي
ط ٣ - مطبعة دار التأليف .
- ٤٥ - المحدث الفاضل - ابن خلد الرامهرمزي - دار الفكر
ط ١ - بيروت ١٣٩١ هـ .

- ٤٦ - المستصفي من علم الاصول - الفزالي - مطبعة بولاق
 . هـ ١٣٢٢
- مسلم - انظر صحيح مسلم .
- ٤٧ - المصباح المنير - الفيومي - مصطفى الحلبي ١٣٦٩ هـ .
- ٤٨ - المعتزلة - زهدي جار الله .
- ٤٩ - مقالات الاسلاميين - الأشعري - مكتبة النهضة المصرية
 ط ٢ - ١٣٨٤ هـ .
- ٥٠ - مقدمة ابن خلدون ط ٣ - بيروت ١٣٦٧ هـ .
- ٥١ - الملل والنحل للشهرستاني - مصطفى الحلبي ١٣٨٧ هـ .
- ٥٢ - مناقب الشافعي - البيهقي - دار التراث - ط ١ -
 . هـ ١٣٩١
- ٥٣ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية - مكتبة دار
 العروبة - .
- ٥٤ - ميزان الاعتدال - الذهبي - ط ١ - عيسى الحلبي
 . هـ ١٣٨٩
- ٥٥ - الموضوعات لابن الجوزي - المكتبة السلفية ط ١ -
 . هـ ١٣٨٦
- ٥٦ - الموطأ - مالك بن أنس - كتاب الشعب .
- ٥٧ - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - جمال الدين

القاسمي - المكتبة التجارية مصر - .

- النسائي - انظر من النسائي .

٥٨ - نيل الأوطار - محمد علي الشوكاني - مصطفى الحلبي .

٥٩ - هدي الساري - ابن حجر - مصطفى الحلبي - ط ١ -

. ٥ ١٣٨٣

٦٠ - اليهودية واليهود - علي عبد الواحد وافي - مكتبة

غريب ١٩٧٠ م .

